BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

الإسلام وتحديات العصر

صلاح فضل :

اليوم في منتدى الحوار في مكتبة الإسكندرية، كأننا مع موعد مع القدر، وكأن الإرادة العليا السامية قد أرادت لهذا اللقاء أن يتم في لحظة تضطرم فيها المشاعر وتهيج الأفئدة وتتـــرى الأسئلة الحيرى[1]، والآن، ونحن نعيش لحظة من تلك اللحظات التي يستشعر الإنسان فيها أكثر من أي وقت آخر حاجة ملحة لصوت العقل والحكمة والفهم والتدبر، والحاجة إلى التأمل وإعادة النظر في القضايا الكلية، حتى يمكن له أن يتفهم ما يصدمه من جزئيات تخدش شعوره، وتؤلم حسه وتكاد تطعن يقينه، وإذا كانت مصر تعيش اليوم مرتجفة من هول أشنع ما وقع فيها من جرائم في تاريخها الحديث، ويزيد الأمر خطورة أن هؤلاء المجرمين اللذين يسيئون إلى وطنهم وأبنائه الفقراء، إلى بلدهم واسمها العزيز، يتمسحون باسم أغلى المعتقدات وأنقاها وأجملها وأكثرها إنسانية، يزعمون أنهم ينطلقون برسالة الإسلام، تبًّا لهم فالإسلام براء من هذا الإجرام الذي يلطخ وجه الإنسانية. في مثل هذه المواقف العصيبة، نحتاج إلى صوت العقل، وكلمة الحكمة، وليس هناك من يهدينا هذا الصوت مثل رجل بدأ حياته العلمية في الفكر الإسلامي بالمقارنة بين قطبه الأكبر الإمام الغزالي وأبي الفلسفة الحديثة المعاصرة ديكارت، ولقد كان هذا هو موضوع أطروحة الأستاذ العالم المفكر الجليل الدكتور محمود حمدي زقزوق حيث قضى عمره في رحاب كلية تؤسس لأصول الدين، لا بالتدريس وإنما بالبحث والعلم والنظر والمعرفة، وقضى عمره أيضا يتتبع صورة الإسلام الوضيء، صورته المنيرة التي تنشر شعاعها على العالم فتلتقطه بعض الأبصار ويشوهه بعضها الآخر، قضى عمره في هذه المنطقة الفاصلة بين الإسلام والغرب، يدرس ويمحص ويتعمق في ما يقوله الغربيون عن الإسلام، يعترف بالمنصفين منهم، ويرد كيد الكائدين منهم بغيرة علمية ودأب فلسفي عميق، ثم بعد ذلك، يشرع قلمه كي يكتب هذه الصور الوضيئة عن الإسلام. لذلك، أستشعر معه اليوم هول وقع ما نراه مما يكاد يفسد ما يضطلع به علماء هذه الأمة، ويشوه ما يقدمونه، ويمسح ما قدمته عقول أبنائها منذ عصر السلف الصالح إلى عصر النهضة. وإذا كنا في هذا العام، عام ٢٠٠٥، نحتفل بذكرى إمام الفكر المجدد المصلح الشيخ محمد عبده، فنحن الليلة سنستمع إلى حفيد محمد عبده، حامل مشعل التنوير في الفكر الإسلامي، سنستمع إلى الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وهو

[1] المقصود تفجيرات شرم الشيخ التي حدثت فجر يوم ٢٣ يوليو ٢٠٠٥، وهو نفس يوم انعقاد الندوة.

يحدثنا عن الإسلام والعصر، وليسمح لي أن أحور العنوان قليلا، حتى يتسق مع سخونة الموقف، الذي نحياه ليحدثنا عن الإسلام وتحديات هذا العصر، تحديات تأخذ بخناقنا، الإسلام والإرهاب، الإسلام والسلطة، الإسلام ونظم الحكم، الإسلام والحرية، الإسلام وصناعة الحضارة لأن هذه هي رسالة الإسلام، ومن يزعم أن له صناعة أخرى غير صناعة الحضارة الحقيقية والمشاركة فيها فهو لا يمكن أن يكون على علاقة حميمة مع رسالة الإسلام، وأقدم لكم الآن الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف.

محمود حمدي زقزوق:

بسم الله الرحمن الرحيم، الشكر الجزيل أولا لأخي الكريم والأستاذ الفاضل الدكتور صلاح فضل، وقبل أن أبدأ حديثي عن الإسلام وتحديات العصر، لا يفوتني أن أدين هذا العمل الإرهابي الذي شهدته مصر اليوم، مصر التي تعيش اليوم لحظات حزينة في تاريخ هذه الأمة، فهذا العمل الإرهابي الذي قتل الأبرياء ودمر وخرب، هذا العمل العبثي الذي لا مبرر له على الإطلاق، هو اعتداء على مقدرات مصر وضرب للسياحة في هذا البلد، ومن المعروف أن السياحة هي من الموارد الكبيرة التي تعتمد عليها مصر، وكل مليون سائح يوفرون مائتي ألف فرصة عمل لأبناء مصر من جميع الطبقات، هذا جانب من الجوانب التي يهدف إليها هؤلاء المخربون، والجانب الآخر أنهم عندما يرفعون شعار الإسلام ويقومون بهذا العمل التخريبي فإنهم يسيئون إلى الإسلام أبلغ إساءة ويقدمون خدمة كبيرة لأعداء الإسلام المتربصين به، هؤلاء لا مكان لهم في تعاليم الإسلام، وليس هناك على الإطلاق في هذا الدين العظيم أي مبرر لمثل هذه الأفعال الإجرامية التي يُعتدى فيها على الآمنين الأبرياء، أود أن أطلب من حضراتكم قبل أن نبدأ أن نقف دقيقة لنقرأ الفاتحة على أرواح هؤلاء الأبرياء، الذين سقطوا ضحايا الغدر الإرهابي الآثم.

محاضرة اليوم عن الإسلام وتحديات العصر، وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى بعض الموضوعات التي ينبغي أن نتطرق إليها، وسنتطرق إليها بطبيعة الحال، لكن أستسمحكم في أن أقرأ ما كتبت، ثم بعد ذلك سيكون هناك حوار مفتوح من خلاله نستطيع أن نجيب على كل التساؤلات التي تدور في خواطركم إن شاء الله.

تمهيد:

لا جدال في أن عصرنا الحاضر يختلف اختلافا جذريا عما سبقه من حقب تاريخية، ولعله لا مجال هنا للمقارنة، نظرا لما طرأ على عالمنا المعاصر من تطورات متلاحقة، وما جد فيه من متغيرات متسارعة، وما ظهر فيها من مخترعات باهرة لم تكن تخطر على بال أحد من كُتَّاب روايات الخيال العلمي. فالواقع المعاصر فاق كل التوقعات، إنه عصر الثورة العلمية والتكنولوجية وثورة المعلومات والاتصالات والاستنساخ. وكل يوم يشهد عالمنا المعاصر مزيدًا من الاكتشافات والمخترعات والمفاجآت، والسؤال هو: أين عالمنا الإسلامي من ذلك كله؟ ألا يعد

جزءًا من هذا العالم الذي نعيش فيه، والذي أصبح – كما يقال كثيرا – مثل قرية كونية صغيرة؟ ألا يتأثر بكل ما يحدث في هذا العالم من متغيرات؟ وهل يستطيع أحد أن يعزل نفسه عن ذلك كله؟ هل اكتفى عالمنا الإسلامي بدور المتفرج على ما يدور حوله من تطورات، وقنع بدور المستهلك لما ينتجه عالمنا المعاصر من منجزات في مجالات العلم والتكنولوجيا والترفيه؟ إن ما جدَّ في العالم من تطورات على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية يحمل معه تحديات كثيرة لعالمنا الإسلامي، فهل استعد المسلمون لمواجهتها وبذل الجهد للتغلب عليها؟

إننا قبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع، نود أن نؤكد أن كل التحديات التي تحيط بعالمنا الإسلامي ليست تحديات تواجه الإسلام بصفته الدين الخاتم الذي تستطيع شريعته أن تواجه كل الظروف والمتغيرات في كل زمان ومكان لما تمتاز به من المرونة والاعتدال. فالتحديات القائمة واللاحقة في حقيقة الأمر تحديات للمسلمين وليست تحديات للإسلام ذاته. إنها تحديات تواجه عقول المسلمين وقدرتهم على استيعاب تطورات العصر والوعي بالزمن والوعي بالتطور التاريخي. والوعي بالزمن يعني وعيا بحركة الزمن من ماض إلى حاضر إلى مستقبل، وأنها دائما في صعود. فالتاريخ يسير إلى الأمام ولا يتراجع إلى الوراء، أما الوعي بالتطور التاريخي فإنه يعني نقلة نوعية تشتمل على إضافة حضارية يسجلها التاريخ. وحتى يكون هذا الوعي حاضرا في الأذهان، لابد من التغلب على العقبات التي تعترض طريق هذا الوعي وتحجب عنه الرؤية الصحيحة والإدراك السليم.

وهذه العقبات تمثل تحديات أمام الأمم، والأمم التي تدرك ما يدور حولها بوضوح وتدرك متطلبات كل عصر، تستجيب للتحدي وتتغلب عليه وتكون جديرة بالحياة والبقاء، أما الأمم التي تنهزم أمام التحدي فإنها تفنى وتُطوى صفحتها في زوايا النسيان دون أن تقوى على التحرك نحو المستقبل.

التحديات المعاصرة:

إن التحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين في عالم اليوم تحديات معقدة وفي حاجة إلى إرادة قوية وعزيمة صادقة لتجاوزها والسير صُعُدا نحو مستقبل مشرق إن شاء الله. وعندما نتأمل هذه التحديات المعاصرة، نجد أنها ليست جديدة تماما، فقد بدأ بعضها في الظهور قبل ذلك بكثير، ولكننا سنكتفي بما ظهر في النصف الأخير من القرن العشرين، وبصفة خاصة في العقد الأخير منه، فقد حدثت في هذا العقد تطورات بالغة الأهمية وعلى رأسها انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وظهور القطب الواحد في العالم، وانتشار الخوف غير المبرر من الإسلام في الغرب بوصفه العدو البديل أو الخطر القادم الذي يهدد الحضارة العالمية، والترويج لنظرية صدام الحضارات ونهاية التاريخ، والتطورات العلمية الجديدة مثل الاستنساخ وزراعة الأعضاء، وغيرها مما قد يزعزع المعتقد الديني في عالم القرن الواحد والعشرين.

وإذا كانت هذه التحديات تمثل تحديات خارجية، فهناك بالإضافة إلى ذلك تحديات داخلية عديدة من أهمها التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية، وانتشار ظاهرة الإرهاب في العالم الإسلامي على نطاق واسع، رغم أنها تعد ظاهرة عالمية. ويرتبط بذلك كله أيضا الفهم الخاطئ للإسلام، والتفسيرات المغلوطة لتعاليمه، وخطر

الأصدقاء الجهال للإسلام الذين هم أشد ضررا على الإسلام من خصومه. وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل يبين مواقف الإسلام من ذلك كله.

التحديات الداخلية:

إن التغلب على التحديات الداخلية يعد المدخل الطبيعي للتغلب على التحديات الخارجية، فترتيب البيت من الداخل ينبغي أن تكون له الأولوية، فضلا عن أنه من ناحية أخرى مرتبط بشكل وثيق بتحديات الخارج، بمعنى أنه إذا تعافى العالم الإسلامي من أمراضه الداخلية وتغلب على تحديات الداخل فقد يكون حينئذ في وضع يؤهله للتغلب على التحديات الخارجية. ومن أهم التحديات الداخلية التي يواجهها نجد ما يلي:

أ- التخلف:

يعد التخلف الذي يسود المجتمعات الإسلامية من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي. وهذا التخلف ليس تخلفًا على المستوى المادي فحسب، وإنما هو تخلف شامل لشتى النواحي العلمية والفكرية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ولا يغرنَّ أحدًا تلك القشرة الحضارية الظاهرية في عالمنا الإسلامي، فالمسلمون اليوم – للأسف الشديد – ليسوا أكثر من مستهلكين لمنجزات الحضارة المعاصرة وليسوا منتجين لها أو مشاركين فيها.

صحيح أن أسلافنا قد تركوا لنا رصيدا حضاريا ضخما لازلنا نعتز ونفخر به، ولكننا وقفنا عند هذا الحد ولم نبذل أي جهد حقيقي يضيف جديدا إلى ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا. ورحم الله جمال الدين الأفغاني الذي قال ذات مرة: "إن الشرقيين كلما أرادوا الاعتذار عما هم فيه من الخمول الحاضر قالوا: أفلا ترون كيف كان آباؤنا؟" ويضيف الأفغاني قائلا: "نعم لقد كان آباؤكم رجالا، ولكنكم أنتم أولاء كما أنتم، فلا يليق بكم أن تتذكروا مفاخر آبائكم إلا أن تفعلوا فعلهم".

إن حالة التشرذم المسيطرة على العالم الإسلامي تعد أكبر دليل على مدى التخلف الذي تعانيه أمتنا الإسلامية في الوقت الذي يتجه فيه عالمنا المعاصر إلى التوحد في تكتلات دولية قوية. وعلى الرغم من أن عالمنا العربي قد سبق أوروبا في محاولته التوحد في إطار الجامعة العربية سنة ١٩٤٥، وعلى الرغم من تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي بعد ذلك بسنوات، فإن هذه الروابط العربية الإسلامية لا تزال ضعيفة وغير مؤثرة، في الوقت الذي قطع فيه الاتحاد الأوروبي خطوات عملاقة. فقد أصبحت هناك عملة أوروبية واحدة، وتعاون اقتصادي قوي، وبرلمان أوروبي واحد، وتنقل حر للأفراد بين دول الاتحاد، وغير ذلك من مجالات أخرى كثيرة للتعاون.

ويحاول خصوم الإسلام نسبة التخلف في العالم الإسلامي إلى الإسلام، ويزعمون أنه هو الذي يشد أتباعه إلى الوراء دائما ولا يتيح لهم حرية الحركة للانطلاق نحو آفاق التقدم، وهذا اتهام لا يستند إلى أي أساس لا من العلم ولا من الواقع التاريخي، فالإسلام هو الذي دفع المسلمين في السابق إلى بناء حضارة مزدهرة استمرت ما يقرب من ثمانية قرون، ويعبر المرحوم مالك بن نبي عن بطلان هذا الاتهام بقوله: " إن التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية

اليوم ليس سببه الإسلام، وإنما هو بالأحرى عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين".

وإذا كانت الحضارة لا تقوم إلا بالعلم، فإن الإسلام قد جعل العلم فريضة لا تقل شأنا عن فرائض الصلاة والصوم والزكاة، وجعل مداد العلماء مساويا لدماء الشهداء، ووصف العلماء بأنهم أخشى الناس لله – والعلماء هنا ليسوا علماء الدين فحسب، وإنما المقصود هم العلماء في كل مجالات العلوم والفنون "**إنما يخشى الله من عباده العلماء**" – لأنهم هم الذين يدركون أسرار الخلق وجلال الخالق. وإذا كان الإسلام دين العلم والحضارة على النحو الذي أشرنا إليه، فكيف وصل الحال بالمسلمين اليوم إلى أن تكون نسبة الأمية لديهم تصل إلى ٤٦ر٥% طبقًا لبيانات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، وأن تصل هذه النسبة في أوساط النساء في بعض البلاد الإسلامية إلى ٦٠%؟

وإذا انتقلنا إلى مجال التجارة والاقتصاد نجد أن عالمنا المعاصر يتجه – كما سبق أن أشرنا – إلى تكوين التكتلات الاقتصادية الكبرى والشركات العملاقة المتعددة الجنسيات وذلك في الوقت الذي نجد فيه أن حجم التجارة البينية في العالم الإسلامي والعربي لا يتجاوز نسبة ٨% من مجموع تجارته مع بقية دول العالم، وذلك طبقا لآخر التقارير الرسمية للبنك الإسلامي للتنمية وهذا واقع مؤلم، فهذا التخلف سيظل قائما طالما ظل اعتماد العالم الإسلامي في كل شيء – حتى في غذائه – على العالم الخارجي.

والمسلمون لديهم ثروات بشرية كبيرة وثروات مادية هائلة تتمثل في البترول والمعادن المختلفة التي لا يزال الكثير منها مطمورا في باطن الأرض، ويعيشون في مناطق استراتيجية في العالم ولا ينقصهم إلا الإرادة القوية والعزيمة الصادقة. وقد يميل البعض إلى تفسير ما نقوله في هذا الصدد بأنه لون من ألوان جلد الذات وليس هذا بالقطع ما نقصده، إننا في أمس الحاجة إلى نقد موضوعي للذات، وهذا ما نفتقده في واقع الأمر، ونقد الذات الذي نقصده هو الخطوة الأولى على الطريق الصحيح.

إننا – نحن المسلمين – في أشد الحاجة إلى وقفة صادقة مع النفس نراجع فيها مواقفنا ونتأمل أحوالنا بكل الصراحة والموضوعية، نحن في حاجة إلى أن نتحسس موقع أقدامنا لنتأكد بصدق ما إذا كانت الأرض التي نقف عليها ثابتة وقوية أم أنها قابلة للانهيار عند أول خطوة. وليس عيبا أن نواجه أنفسنا بعيوبنا وأخطائنا، ولكن العيب كل العيب أن نتجاهل ذلك كله ونكذب على أنفسنا معتقدين خطأ أن كل شيء على ما يرام.

ب–ظاهرة الإرهاب:

تعد ظاهرة الإرهاب من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي، وقد شهدت الأعوام الأخيرة على وجه الخصوص تطور هذه الظاهرة بشكل مخيف، إذ اتجه الإرهاب إلى القتل والتدمير للأبرياء دون تمييز بين طفل وامرأة وشيخ وشاب، وتعدى ذلك إلى التمثيل بالقتلى دون سبب مفهوم، وفي كثير من الأحيان تحت شعار إسلامي، وبصيحات الله أكبر.

والعجيب في الأمر أن هناك بيانا صدر اليوم على شبكة الإنترنت من بعض الجماعات التي تقول إنها هي التي فعلت الحادث الإجرامي الذي حدث اليوم في شرم الشيخ، وفي هذا البيان آيات قرآنية، ومنها "**نصر من الله وفتح قريب**"، فهذا شيء غريب أن يتخذ هؤلاء لأنفسهم شعارات إسلامية وهم في الحقيقة يسيرون على طريقة "**ولا تقربوا الصلاة**" حيث يقتطعون آيات من القرآن الكريم من سياقها ثم يدعون كذبا أنهم يسيرون على نهجها.

إن عواقب هذا الإرهاب مدمرة لقدرات الشعوب الإسلامية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، كما تمثل عقبة أمام تنفيذ الخطط التنموية في البلاد الإسلامية، ولاشك في أن الإرهاب في العالم الإسلامي يتلقى الدعم والتخطيط من رؤوس الإرهاب في الخارج وبخاصة في الدول الأوروبية التي وفرت لهم على مدى عقود الملاذ وحرية الحركة تحت مظلة الحماية المزعومة لحقوق الإنسان، والآن انقلب السحر على الساحر.

وفي تقديري أن مواجهة الإرهاب في العالم الإسلامي قد اتسمت بقصور شديد، إذ نظر الكثيرون إليها على أنها صراع بين الإرهاب والحكومات. ومن هنا، لم يظهر الدور الشعبي في الصورة، وتُرك الأمر – في غالب الأحيان – للحكومات بأجهزتها الأمنية. وذلك خطأ فادح، فخطر الإرهاب يمس الشعب كله بجميع فئاته، ويمس مصالح كل فرد فيه، فالإرهاب يهدف إلى زعزعة استقرار المجتمع وتهديد أمن الوطن والمواطنين. ومن هنا فإن التغلب على التحدي الذي يمثله الإرهاب يجب أن يكون مسئولية المجتمع بأسره. فلم يعد مقبولا ولا معقولا أن يعتمد الكل على المواجهة الأمنية فقط، أو أن تتحمل أجهزة الشرطة دون غيرها كل المسئولية، إن الأمر يتطلب وضع خطة قومية شاملة لمواجهة الإرهاب تحدد فيها واجبات ومهام كل جهة – حكومية كانت أم أهلية – ويتم تنفيذها عن طريق خطط فرعية خاصة بمجالات عمل كل جهة وذلك في إطار الخطة العامة.

أما ما يطلقه الإرهابيون من شعارات إسلامية، فإنها لا يمكن أن تخدع عاقلا لأن الأديان كلها، والإسلام بصفة خاصة، ترفض العنف والقتل والتخريب وتدعو إلى المحبة والأخوة والسلام. والإسلام إذ يرفض العدوان رفضا قاطعا، فإنه يعتبر قتل نفس واحدة كأنه قتل للإنسانية كلها " **من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**". ولا يجوز أن يغيب عن الأذهان أن الرحمة هي الهدف الأساسي للرسالة الإسلامية – كما يخبرنا القرآن الكريم في قوله تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام : "**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**".

ج–الفهم الخاطئ للإسلام:

إن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية، يكره التطرف والغلو في الدين، ويدعو إلى التيسير على الناس والرحمة بهم. وعلى الرغم من تعاليم الإسلام الواضحة في هذا الشأن، فإن هناك اتجاهات تفسر الإسلام على هواها، وتريد أن تشده ناحية اليمين أو ناحية اليسار بتفسيرات خاطئة تجعل منه إما دينا جامدا منغلقا متقوقعا لا يقوى على مسايرة الزمن، ولا يراعي متغيرات الحياة، وبذلك يشدونه إلى فهمهم السقيم ويضيقون رحمة الله الواسعة، وإما أن يجعل منه فريق آخر دينا دمويا عدوانيا متعطشا لسفك الدماء. وكلا الاتجاهين لا مكان له من الحقيقة ولا يعبر إلا عن الرؤى المريضة لمن يتحدثون بها.

فالإسلام إذ يرفض الجمود والانغلاق والتقوقع، فإنه من ناحية أخرى يرفض رفضا قاطعا كل شكل من أشكال العنف والعدوان أو القتل والتخريب، ويسمي القرآن ذلك بأنه إفساد في الأرض يعاقَب مرتكبوه بأشد العقاب في الدنيا والآخرة : "**أن يُقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفَوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**". والفهم الخاطئ للإسلام يرجع إما إلى جهل أصحابه بجوهر تعاليم الدين كما هو الحال لدى الفريق الأول، أو خداع الجماهير برفع شعارات دينية لتحقيق أغراض دنيوية كما هو الحال لدى الفريق الثاني.

والأمر يحتاج إلى كشف زيف التفسيرات الباطلة في كلتا الحالتين، وإبراز قيم الإسلام السمحة التي تحض على الرحمة والتراحم والتسامح والعدل حتى مع الأعداء. وربما يكون الفريق الأول حسن النية في مقابل سوء نية الفريق الثاني، ولكن حسن النية قد يؤدي أيضا إلى عواقب وخيمة لا تُحمد عقباها، فالصديق الجاهل قد يكون أشد خطرا – دون أن يدري – من العدو العاقل، على الأقل لأن العدو يسفر عن عدوانه، وبالتالي يمكن أخذ الحذر منه والاستعداد لمواجهته. أما الصديق الجاهل المحسوب على الإسلام والذي يبدي أشد الحرص على حمايته بأسلوبه المتخلف فإنه يمثل عقبة في طريق التقدم ولا يستطيع أن يفهم ما يدور حوله من تطورات فضلا عن عدم فهمه لجوهر الإسلام وروحه بوصفه دينا حضاريا وإنسانيا بكل معنى الكلمة.

وحتى يستطيع الإسلام أن يتجه بخطى ثابتة وحثيثة نحو المستقبل، فلابد لأتباعه من التخلص من هذا المرض المزدوج وذلك عن طريق الفهم المستنير للإسلام وتعاليمه، والكشف عن الوجه الحضاري لهذا الدين الذي تتوافق تعاليمه مع كل زمان ومكان وتثبت قدرته على التطور ومواجهة متغيرات الحياة، وقدرته الذاتية على الصمود أمام كل التحديات، وتاريخ الإسلام شاهد على ذلك. وقد اتضح لجماهير المسلمين أن الإسلام بريء من جهل أصدقائه ومن شذوذ من يدعون أنهم يقتلون دفاعا عنه، فإن ذلك من شأنه أن يمهد السبيل للتغلب على الصعاب والتحديات الأخرى الخارجية والتي تتخذ من الفهم الخاطئ للإسلام من جانب هذين الفريقين ذريعة لوصم الإسلام بكل الرذائل.

التحديات الخارجية:

إن التحديات الداخلية مرتبطة بالتحديات الخارجية – كما سبق أن أشرنا – وعلينا الآن أن نبين أهم التحديات الخارجية وسبل التغلب عليها حتى يمكن الانطلاق إلى آفاق المستقبل بخطى ثابتة، وأود أن أشير إلى أن حديثي عن التحديات الداخلية والتحديات الخارجية لا يمثل حصرا للتحديات الداخلية أو الخارجية ولكنه يمثل نماذج فقط لهذه التحديات، أما حصر هذه التحديات سواء أكانت داخلية أم خارجية فإن له مجالا آخر.

١–الخوف من الإسلام في الغرب:

ومن أولى **التحديات الخارجية** التي تواجه الإسلام والمسلمين اليوم **الخوف من الإسلام في الخارج**، ففي أثناء الحرب الباردة، كان الغرب ما يزال في حاجة ماسة إلى المعاونة من جانب الإسلام في صراعه مع الشيوعية، أو

لنكن أكثر واقعية ونقول: كان في حاجة إلى مهادنة الإسلام. فالغرب يعلم علم اليقين أن الإسلام والشيوعية نقيضان لا يجتمعان. ومن هنا فقد كان من المفيد للغرب أن يتعاون مع الإسلام في هذا الصدد. ولكن بعد أن انتهت الحرب الباردة وسقطت الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفييتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي لم يعد الغرب في حاجة إلى الإسلام، وانتهت سياسة التعاون والمهادنة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل راح الغرب يبحث عن عدو بديل للشيوعية، ولم يجد إلا الإسلام ليكون هو العدو البديل. إذ يبدو أن الغرب لا يستطيع أن يعيش دون أن يكون له عدو، فإذا لم يكن هناك عدو حقيقي فليتصور عدوا. وكان العدو المتصور هو الإسلام.

ومن الواضح أن الغرب في صراعه مع الشيوعية قد استعان بأسامة بن لادن، وهذه من المفارقات الغريبة، فقد تم تسليح أسامة بن لادن وتدريب رجاله والاستعانة به لطرد الشيوعيين من أفغانستان، وهذا هو الذي حدث، فأسامة بن لادن من بادئ الأمر عميل، ثم تُرك بعد ذلك، وكان هذا هو الخطأ الذي حدث، فوجد الرجل نفسه لديه أموال ورجال مدربون ولديه أسلحة فماذا يفعل؟ لقد اتجه إلى الإرهاب على النحو الذي يعرفه العالم. ولذلك فإنه عندما يتم وصف الإسلام بأنه دين إرهاب نظرا لما يفعله أسامة بن لادن، فإننا نعرف الجذور والأسباب الحقيقية، ونعرف أن الإسلام لا صلة له بذلك على الإطلاق.

لقد انتشرت في الإعلام الغربي فكرة الخوف من الإسلام أو ما يطلق عليه "إسلاموفوبيا"، ولم يستطع كبار المسئولين في الغرب أن يخفوا هذا التصور، فورد ذلك في حينه على لسان الأمين العام السابق لحلف الأطلنطي، وكان لا يزال في منصبه المهم، كما ورد على لسان أحد الرؤساء في الغرب. وبدأ الحديث عن الأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي والخطر الذي يتهدد الحضارة الغربية من هذا الشر المدمر والذي هو الإسلام في زعمهم. واختلطت الأوراق وتاهت الحقائق وسط التدفق الإعلامي الغربي في هذا التيار الجارف.

وقد ساعد على شيوع هذا التصور تزايد موجات العنف في بعض البلاد الإسلامية، ومن المفارقات الغريبة أن الغرب نفسه هو الذي وفر الملجأ والملاذ والدعم وحرية الحركة لرءوس الإرهاب في العالم الإسلامي كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. وهذا التوجه الغربي يعني عدم السماح بتطوير قدرات العالم الإسلامي العسكرية، بل وحتى الاقتصادية والعلمية رغم ما يغدقه الغرب من إمكانات هائلة على إسرائيل التي زرعها شوكة في ظهر العرب لتعوق أي طموحات في تطوير قدراتهم وتنمية بلادهم، ويعني أيضا عدم السماح للعالم الإسلامي بأي نصيب في المشاركة في رسم سياسة العالم عن طريق تمثيل العالم الإسلامي بمقعد دائم في مجلس الأمن.

وأذكر أنني اشتركت عام ١٩٩٣ في مؤتمر دولي بالعاصمة النمساوية فيينا حول موضوع "السلام من أجل الإنسانية"، وتقدمت باقتراح يقضي بضرورة أن يكون للعالم الإسلامي – الذي يمثل أكثر من خمس سكان العالم – مقعد دائم في مجلس الأمن، وقلت آنذاك بالحرف الواحد – وهذا منشور في بحوث هذا المؤتمر التي صدرت باللغة الألمانية في ذلك الوقت ثم تُرجمت إلى العربية وصدرت في لبنان عام ١٩٩٧:

" لكي تتاح الفرصة أمام المسلمين للإسهام بفاعلية في سلام العالم، أقترح أن يحصلوا على مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي، وينبغي أن يكونوا ممثلين في هذا المجلس بدولة إسلامية تختارها الدول الإسلامية. فالمسلمون يؤلفون خُمس سكان العالم. ومن أجل ذلك فإن لهم الحق في أن تتاح لهم الفرصة ليكون لهم صوت مسموع". ولكن للأسف عز على بعض المشاركين في المؤتمر أن يكون للمسلمين مثل هذا الدور فعارضوا الاقتراح بحجة تنم عن مغالطة مكشوفة، إذ زعم البعض أن ذلك يعني أن يكون هناك أيضا تمثيل في مجلس الأمن للفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي ...إلخ وأن يصبح المجلس مكونا من مشايخ وقساوسة، وهذا كلام يُعد من قبيل الهزل في وقت الجد، فالأمر يتعلق بتمثيل شعوب يبلغ تعداد سكانها خُمس سكان العالم ولا علاقة له بتمثيل الدين كدين. وفضلا عن ذلك، فإن الشعوب المسيحية في أوروبا ممثلة حاليا بنسبة ٨٠% من المقاعد الدائمة في مجلس الأمن من خلال عضوية بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الحادي عشر من الشهر الماضي (يونية ٢٠٠٥) قرأنا في الصحف أن الأمين العام الجديد لمنظمة المؤتمر الإسلامي يطالب بمقعد دائم في مجلس الأمن للعالم الإسلامي. وهو الاقتراح نفسه الذي عرضناه منذ اثني عشر عاما و لم يلتفت إليه أحد.

٢–صدام الحضارات:

ويرتبط بقضية الخوف من الإسلام الترويج في الغرب لدعوى صدام الحضارات، وأن هذا الصدام أمر حتمي. وبطبيعة الحال يوضع في الحسبان في هذا التفكير – بالدرجة الأولى – الصدام بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. ويستعيد البعض ذكريات الماضي القريب والبعيد لهذا الصدام. والهدف في النهاية هو هزيمة الحضارة الإسلامية حتى تتمكن حضارة واحدة هي الحضارة الغربية بأن تكون لها اليد الطولى والسيطرة على العالم كله، وتتأكد بصورة قاطعة فكرة العولمة التي سنتحدث عنها بعد قليل، ولعل ذلك كله يشكل مقولة نهاية التاريخ التي يتم الترويج لها أيضا. وقد سبق للفيلسوف الألماني المعروف هيجل – الذي توفي عام ١٨٣١ م – أن أشار في كتابه المعروف "فلسفة التاريخ" إل أن الإسلام قد اختفى منذ زمن طويل من أرض التاريخ العالمي – أي لم يعد له تأثير في توجيه أحداث التاريخ – بعد أن ركن إلى الاسترخاء واستسلم إلى السكون الشرقي. وهنا – كما يحدث أيضا في الكتابات الغربية المعاصرة عن الإسلام – يتم الخلط بين الدين الإسلامي وبين الواقع الحضاري المتخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية. وهذا الواقع يمثل مرحلة عارضة في تاريخ المسلمين وليس حكما أبديا بالجمود والتحجر على خمس سكان العالم.

وحقيقة الأمر أنه إذا كان البعض يتبنى في الغرب نظرية حتمية صدام الحضارات فإن الإسلام كدين لا يرى ذلك أمرا حتميا لا مفر منه، لأن الصدام القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات. فهناك أيضا صراعات تقع بين البشر داخل الحضارة الواحدة، وما أكثر مثل هذه الصراعات في عالمنا الذي نعيش فيه. وأوضح مثال على ذلك ما حدث في القرن العشرين من حربين عالميتين داخل الحضارة الغربية راح ضحيتهما أكثر من ستين مليونا من البشر، الأمر الذي لا نظير له في التاريخ على الإطلاق. ويُتهم المسلمون دائما بالوحشية والعدوانية، ومنذ

ستين عاما كانت نهاية الحرب العالمية الثانية، وكان فيها أبشع مظاهر الوحشية التي عرفها التاريخ، ولا نبعد كثيرا، فمنذ عشر سنوات فقط، أي في عام ١٩٩٥، كانت هناك جريمة كبرى حدثت أمام نظر العالم المتحضر كله وهي قتل البوسنيين الذين كانوا تحت حماية الأمم المتحدة بما لم يشهده العالم من قبل، ثمانية آلاف من المسلمين قُتلوا في مدينة واحدة تحت سمع وبصر العالم، هذه هي الوحشية التي يسير على نهجها الآن هؤلاء الإرهابيون في عالمنا الإسلامي، إنها وحشية مستوردة لم يخترعها المسلمون، ولكن القضية تبدو الآن وكأن العالم قد استيقظ فجأة ليجد أمامه دينا وحشيا هو الإسلام يهدد الحضارة القائمة، والإسلام قائم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، فلماذا لم تكن هناك هذه الوحشية وهذه العدوانية وهذا التعطش لسفك الدماء؟ هذه أمور في حاجة إلى أن نفكر فيها كثيرا.

وأود أن أشير إلى موقف آخر، حتى نعرف نحن أن ديننا ليس فيه مكان على الإطلاق لهذه الوحشية والدموية، فحينما دخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحا منتصرا كان يستطيع أن يجمع كل رؤساء مكة وزعمائها وصناديدها ويأمر بقتلهم جزاء وفاقا على ما فعلوه به وبأصحابه، ولكن ماذا فعل بهم؟ سألهم "**ما تظنون أني فاعل بكم؟**" قالوا " **خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم**"، فقال "**اذهبوا فأنتم الطلقاء**". ونفس الموقف فعله الناصر صلاح الدين الأيوبي، فحينما جاء الصليبيون واحتلوا بيت المقدس، ذبحوا المسلمين جميعا – والذين كان يُقدر عددهم بحوالي سبعين ألف مسلم– لدرجة أن المؤرخين يقولون إن الدماء كانت تجري أنهارا في شوارع القدس، فماذا فعل الناصر صلاح الدين بعد أن استرد بيت المقدس بعد أقل من مائة عام من احتلاله من جانب الصليبيين؟ سمح للصليبيين أن يعودوا إلى بلادهم، وأرسل طبيبه الخاص إلى خصمه ليعالجه، وزوَّد فقراء الصليبيين بالأموال والمئونة التي تعينهم حتى يعودوا إلى بلادهم متأسيا بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، فهذه هي أخلاق الإسلام وليست الوحشية والدموية التي نراها الآن.

إن موقف الإسلام المبدئي الثابت يتلخص في أن تعددية الأجناس في المجتمعات البشرية – أو بمعنى آخر تعددية الحضارات واختلافها – لا يجوز أن تكون مدخلا للصراع والشقاق، وأن تمثل عائقا أمام توحيد جهود الناس وتآلفهم فيما بينهم. فالتعددية فيها إثراء، وينبغي أن تفتح الطريق أمام التعارف والتعاون والتوحد. وهنا تكمن المهمة الإنسانية التي ينبغي على الإنسان حيثما كان موقعه أو معتقده أن يتحمل مسئوليتها. ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**"، وليس لتتنازعوا ولا لتتصادموا. وهنا جعل القرآن الاختلافات بين البشر مدخلا للتعارف والتآلف والتعاون لا مقدمة للنزاع والشقاق والصراع. فدعوى الصراع الحتمي للحضارات مرفوضة أساسا من الإسلام الذي يقرر أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة، وأن العدوان على نفس واحدة يعد عدوانا على البشرية كلها وليس على طائفة معينة أو حضارة بعينها. ومن هنا فإن التصور الإسلامي أوسع دائرة وأرحب أفقا وأعمق في إنسانيته من تلك التصورات العنصرية التي تسعى إلى إعلاء شأن حضارة ما على غيرها من الحضارات والثقافات.

٣-العولمة:

ومنذ سنوات، ظهر الحديث عما يُسمى بالنظام العالمي الجديد، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وأصبح الحديث عن "العولمة : Globalization " أمرا مطروحا. ولم يعد خافيا على أحد أن هناك تيارا جارفا تقوده القوة الأعظم في العالم يتمثل في الترويج للقيم والمعايير التي تعتمدها الحضارة الغربية القائمة، وأن على الجميع في العالم أن يتواءم معها وأن يعتنق مبادئها ونظمها إذا أراد لنفسه مكانا في مسيرة العالم المعاصر.

وهذا يعني أن تسود حضارة واحدة بقيمها ومثلها، وأن يترسخ مفهوم العولمة أو القطب الواحد في الأذهان. وبذلك يختفي مفهوم التعددية الحضارية المتعارف عليه منذ فجر التاريخ، ومن ثَمَّ يصبح الخضوع لنظام العولمة أمرا لا مفر منه، ولا فكاك لأي دولة في العالم من أن تنضوي تحت لوائه، وإلا فإن الزمن والأحداث سوف تتجاوزها.

ويعد نظام العولمة – بالمفهوم المشار إليه – من التحديات الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي في العصر الحاضر. فهل يمكن إخضاع الإسلام والمسلمين لهذا النظام، حيث تختفي الحواجز الحضارية والثقافية في العالم الجديد؟ إن حقائق الدين الإسلامي وطبيعته ووقائع التاريخ تبين أن الإسلام لا يمكن أن يذوب في أي نظام آخر، فله ذاتيته وكيانه الخاص. ولكن هذا التصور الإسلامي لا يتناقض مع أي كيانات أخرى، لأن التعددية الدينية والحضارية قد كفلها الإسلام منذ أن قامت للإسلام دولة، وترسخت هذه التعددية في دستور المدينة الذي أعلنه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد كانت الحضارات في البلاد التي دخلها الإسلام روافد أثرت الحضارة الإسلامية، فالإسلام يعتبر الحضارات إنجازا إنسانيا، وإضافات للتراث الإنساني الذي هو بطبيعته أخذ وعطاء. ولا توجد أمة عريقة في التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث. وإذا كان الأمر كذلك فإن هدف نظام العولمة يعد مناقضا لطبيعة الأمور. فلا يمكن أن تذوب السمات الحضارية الأساسية للشعوب التي لها بصمات حضارية لا تمحى في سجل التاريخ. والإسلام إذ يقر التعددية الدينية والحضارية، فإنه من ناحية أخرى يقر في الوقت نفسه بأن هناك قواسم مشتركة بين كل الحضارات. وهذه القواسم المشتركة تعد المدخل الحقيقي للتعاون بين الحضارات وليس الصراع فيما بينها. ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم على أن الاختلافات بين الشعوب لا يجوز أن تكون عائقا أمام التعارف والتآلف والتعاون بين الأمم والحضارات كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الآية الكريمة : "**وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**".

ومن ذلك يتضح أن الإسلام سيقف صامدا أمام كل محاولة لتذويبه في أي حضارة أخرى أو في أي نظام عالمي جديد. ولكنه في الوقت نفسه سيظل دائما على استعداد لأن يكون شريكا لأي نظام عالمي يسعى إلى خير الإنسان وتقدمه وازدهاره.

٤-التطورات العلمية الحديثة:

وبالإضافة إلى هذه التحديات السابقة الإشارة إليها، نجد هناك تحديا آخر يتمثل في الإنجازات العلمية المتلاحقة على الأرض وفي الفضاء، والتي تسارعت خطاها على نحو مذهل ووصلت الآن إلى إتمام استنساخ كامل لبعض فصائل الكائنات الحية، ولعل السنوات القليلة القادمة ستشهد استنساخ البشر رغم المعارضة القوية لذلك في كثير من بلاد العالم.

ويعد العلم بصفة عامة سلاح العصر، فمن يملك العلم يملك القوة، ومن يملك القوة يستطيع أن يفرض نفسه على عالم اليوم. أما الدول التي لا تملك العلم، فإنها تقنع بأن تكون تابعة ومستهلكة لمنتجات الآخرين، وبتعبير آخر تقنع بأن تكون زبونا دائما في "سوبر ماركت" الأقوياء. فأين موقف الإسلام والمسلمين من ذلك كله؟ وهل استعد المسلمون للمشاركة الجادة في الجهود العلمية؟ وهل هناك أمل في أن يحتل المسلمون مكانا في الخريطة المؤثرة للقرن الحادي والعشرين؟ لا شك في أن التوجهات الفكرية والدينية في أي أمة لها تأثيراتها البالغة في المواقف الحاسمة التي تتخذها الأمم والتي تحدد مصيرها ومكانها على خريطة العالم. وإذا نظرنا إلى موقف الإسلام من العلم وتطوراته – وهذا الموقف الديني ينبغي أن يكون له تأثيره على توجهات المسلمين – فإننا نجد أن الإسلام ينفرد بين الأديان المختلفة بجعله العلم فريضة من فرائض الإسلام، لا تقل أهميتها عن فرائض الصوم والصلاة والزكاة، لأن العلم هو السبيل إلى إعمار الكون، وإعمار الكون في الإسلام يعد من الأوامر الإلهية التي ينبغي تلبيتها على المستويين المادي والمعنوي، كما جاء في القرآن الكريم : "**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**" أي طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها.

والإسلام بذلك يساند العلم ويدعم مسيرته، ولا يمكن أن يكون هناك تعارض بين الإسلام وحقائق العلم بأي شكل من الأشكال، ولا يزال هناك في بعض البلاد الإسلامية من يشككون في كروية الأرض، وكان الشيخ الغزالي رحمه الله – وقد زاملته في جامعة قطر ثلاث سنوات – قد أعطاني مرة كتابا ألفه أحد الحمقى يدعي فيه أنه أتى بثمانية وأربعين دليلا من القرآن الكريم على أن الأرض لا تدور! ولله في خلقه شئون. ومجال العلم في الإسلام غير محدود، والآية القرآنية واضحة في هذا الصدد وهي موجهة لكل الناس وليس للمسلمين وحدهم "**وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**"، فالعلم يشمل السماء والأرض وما بينهما. فليست هناك قيود ولا سدود في الإسلام تقف في طريق التقدم العلمي مادام ذلك في مصلحة الإنسان، وهذه المصلحة تحوطها بطبيعة الحال القيم الأخلاقية بسياج يحميها من سوء الاستغلال. وكل تقدم علمي هو في الوقت نفسه دعم للدين من المنظور الإسلامي لأنه يبين قدرة الخالق. ومن أجل ذلك أكد القرآن الكريم على أن العلماء هم أخشى الناس لله لأنهم أقدر الناس على معرفة أسرار الخلق وجلال الخالق. إن المشكلة إذن ليست بين الإسلام والتطورات العلمية ولا يمكن أن تشكل هذه التطورات تحديا للإسلام، وإنما المشكلة في مدى انسجام المسلمين مع تعاليم الإسلام المشار إليها، ومدى ملاحقتهم للتطورات العلمية، ومشاركتهم في البحث العلمي مشاركة جادة يستطيعون من خلالها أن يعبروا إلى المستقبل في ثبات وثقة. فالمسلمون لا تنقصهم الإمكانات المادية أو البشرية، وهم ليسوا أقل ذكاء من غيرهم، فالله قد أعطى العقل لكل الناس، وكما قال الفيلسوف الفرنسي

الشهير ديكارت "إن العقل أعدل الأشياء قسمة بين الأشياء". فهل يقبل المسلمون التحدي ويتحركون بخطى سريعة نحو آفاق العلم الواسعة ليثبتوا وجودهم وإسهامهم في مسيرة التقدم العلمي ليكونوا مؤهلين وجديرين بالدخول إلى عالم المستقبل لكي يحتلوا فيه مكانهم اللائق بهم ويثبتوا وجودهم عن طريق الأفعال وليس فقط عن طريق الأقوال؟ إن هذا ما سوف تكشف عنه السنوات القادمة إن شاء الله، وإن غدا لناظره قريب.

خاتمة:

وقبل أن نختم حديثنا عن الإسلام وتحديات العالم المعاصر، أود أن أؤكد مرة أخرى أن هذه التحديات ليست في حقيقة الأمر تحديات للإسلام كدين، وإنما هي تحديات لأفهام المسلمين. فإذا ارتفعت هذه الأفهام إلى مستوى الأحداث وأدركت مقتضيات العصر فستجد أن الإسلام من أشد أعوانها على التغلب على كل التحديات، فالإسلام دين للحياة بكل معنى الكلمة، وهو صالح في جوهره لكل زمان ومكان، ومتوائم مع طبيعة الإنسان.

أما إذا قصرت همم المسلمين وأفهامهم عن استيعاب تطورات العصر ومتغيرات الحياة فإنها ستكون أيضا قاصرة عن فهم طبيعة التعاليم الإسلامية، وغير مدركة لما تشتمل عليه من مرونة. وهذه الأفهام السقيمة هي التي تجمد الإسلام وتريد أن تشده إلى تخلفها الفكري وتحجرها العقلي وجمودها الديني، ومن ثَمَّ تكون أخطر على الإسلام من أي تحديات خارجية.

وينبغي على المسلمين أن يدركوا أنهم إذا أرادوا لأنفسهم الحياة فإنه ليس أمامهم – في القرن الحادي والعشرين – خيار آخر غير خيار العلم والتقدم والحضارة، وأي طريق آخر سيستمر في جذبهم إلى التخلف والجمود، وينتهي بهم إلى أن تتجاوزهم الأحداث وينساهم التاريخ، فالقضية – إذن – قضية مصير: إما أن يكونوا أو لا يكونوا. والأمل معقود على أن رصيد المسلمين الحضاري وتاريخهم المجيد في مضمار العلم والتقدم سيحفز هممهم ليستعيدوا أمجاد أسلافهم، وليكونوا جديرين بالانتساب إليهم.

وخلاصة القول أن الإسلام بمبادئه السامية وتعاليمه الواضحة وقوته الذاتية قادر على تلبية متطلبات الحياة المعاصرة ومواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية. و لم يكن الإسلام – ولن يكون – سببا في تعطيل مسيرة التقدم في العالم الإسلامي على جميع المستويات. ومن هنا القول بأن الإسلام مؤهل بكل المقاييس لمواجهة تحديات العصر الحديث، ومؤهل للتعاون باستمرار مع كل القوى المحبة للسلام والتقدم في العالم من أجل خير الإنسان وسعادته في كل زمان ومكان.

صلاح فضل:

نشكر شكرا جزيلا محاضرنا المفكر الملتزم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، وما أريد أن ألفت النظر إليه في هذه المحاضرة هو سلم الأولويات لديه في توصيفه وتجسيده لعلاقة الإسلام وموقفه من تحديات العصر. المشكلة الأولى التي يركز عليها هو هذا الوضع المتخلف المهين الذي يكاد يقتصر على هذا العالم الإسلامي وعلى

المسلمين على الرغم من أنهم يمثلون خمس سكان الأرض، هذا التخلف هو التحدي الأكبر، وما ينجم من مشكلات بعد ذلك هو تفاقمات لهذا الوضع، رفع شعار العنف واستمراء الإرهاب هو مظهر فاضح وفادح لهذا التخلف كما أن سوء الفهم لجوهر الدين هو مظهر وسبب جوهري لهذا التخلف، البناء المنطقي في هذا الخطاب لابد أن نكتشفه لكي ندرك الأولويات، ومن هنا، تكون الوسيلة الأساسية والتحدي الأكبر هو الأخذ بمنطق العلم لأن القوة الآن هي قوة العلم والمعلومات، الأخذ بمنطق العلم هو الذي يجعلنا نحاور الحضارات الأخرى ولا نعيش عالة عليها، هو الذي يجعلنا لا نخشى على ثقافتنا ولا عقيدتنا من رياح العولمة، بل ندخل ميدان المنافسة وحلبة صراع الأقوياء بأسلحتها لا بأسلحة التخلف الجاهل المدمر للذات قبل أن يدمر الآخرين، هذا هو منطق خطاب الدكتور محمود حمدي زقزوق، وهو منطق الفكر الإسلامي المستنير.

وكما درجنا في منتدى الحوار نصبر على المحاضر حتى يفرغ ما لديه، ثم نوسعه بما لدينا ترحيبًا نقديا ومناوشات فكرية وشغبا علميا، وعلى الرغم من أن الدكتور محمود حمدي زقزوق متعدد الجوانب، فهو المفكر الإسلامي الكبير والمثقف الناضج، لكنه أيضا إمام الدعاة والمسئول عن الخطاب الديني في مصر، والخطاب الديني في أشد الحاجة إلى ترشيد وتصويب لأنه كثيرا ما يسيء وهو يظن أنه يحسن، كثيرا ما يفسد وهو يعتقد أنه يبغي الإصلاح والخير، الخطاب الديني مصاب بآفات المسلمين، بمنطق التخلف ومنطق التعصب في كثير من جوانبه، لذلك فالدكتور محمود حمدي زقزوق – كان الله في عونه – مسئول عن جهل كثير من الدعاة الذين يسيئون إلى الإسلام، ثم هو بعد ذلك يتحمل وزر الوزارة منذ تسع سنوات أي منذ عام ١٩٩٦، ولكل ذلك أرجو أن تكونوا في حواركم منصفين معه وموضوعيين معه ومقتصدين في القول والإشارة.

عبد الفتاح متولي:

لا يفتى ومعالي الوزير في المدينة، لكن النقاش لا يفسد للود قضية، لا يستقيم الأمر إلا إذا استحضرنا العاقبة، ولكي نستحضر العاقبة لابد أن نحكم بما أنزل الله كما جاء في القرآن الكريم في محكم آياته "**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هو الفاسقون**" وتكررت "**أولئك هم الظالمون**" و"**أولئك هو الكافرون**"، فلماذا لا نطبق الشريعة الإسلامية؟ وعندما جاء الدكتور عبد الرازق السنهوري واقترح على الرئيس جمال عبد الناصر تطبيق الشريعة الإسلامية أقصاه، وفي أيام الرئيس السادات عُرض عليه تطبيق الشريعة الإسلامية فرفض وقال إن هذا معناه أن نصف الشعب ستُقطع يده والنصف الأخير سيكون على وشك أن يحدث له ذلك، وأتساءل لماذا لا نطبق نحن في هذا العصر الشريعة الإسلامية؟ وذلك لتطبيق العدالة الإلهية في الأرض، فهذه الدولة المركزية التي بها الأزهر والأوقاف تُطبق فيها الشريعة الإسلامية، فهذه دولة العلم والإيمان، وذلك حماية للشباب وحتى لا يتوه الإسلام دين العصر وكل عصر.

سعد مهلل محمد (مدرس لغة عربية):

بخصوص عبارة معالي الوزير حول أن الغرب لا يستطيع أن يعيش بدون عدو، فهل المقصود نفي القصور الشديد الملقى على كل المسلمين سواء في الداخل أو في الخارج؟ وما الواجب عمله كأفراد أو كمجتمعات إسلامية حتى تعود صورة الإسلام جميلة؟

سعيد حسن:

أرجو التكرم بتفعيل القوانين الخاصة بانتشار البهائيين والماسونيين في مصر بالقرار الجمهوري لعام١٩٦٠، والقانون الصادر عام ١٩٢٨ في شأن الأديان في مصر ولانتشار الشيعة في مصر الآن حيث بلغوا أربعين ألف شيعي، والقانون رقم ١٨٠ الصادر عام ١٩٥٥ والقانون ١٨ الصادر عام ١٩٥٨ في شأن حل الأوقاف الأهلية والخيرية.

أقدم لمعالي الوزير اقتراحًا سياحيًّا لأول مرة في مصر لتعديل مسار العبَّارات السياحية والحج من رأس نصراني في مصر إلى رأس حِميد في السعودية بمسافة ٢٣ كم بدلا من المسار الحالي الذي يبلغ ٦٠٠ كم حتى الأردن ومشاكله الكثيرة.

عبد المحسن حمودة (دكتور):

تعرَّض معالي الوزير لمسألة ألا يُترك دور مقاومة الإرهاب للحكومة، وإنما لابد أن يكون للشعب دور في هذا، وهذا صحيح وهذا هو الدور الأصلي للمقاومة، لكن أين دور الشعب الآن من هذا؟ فقد درجت الحكومة منذ ثلاثين عاما على مقاومة ما تسميه الإرهاب بالدواء العاجل، مثل العلاج بالحقنة السريعة، لكنها لم تبحث عن علاج الإرهاب كمرض عُضال دائم. ودور الشعب لا يتأتى إلا إذا كان قادرا على تمييز مكان وقوفه، فلابد أن يكون للشعب مطلق الحرية في أن يفهم إذا ما كان هذا هو الإرهاب أم أنه فكر يتستر وراء الدين ليحقق مآرب خاصة أو مآرب عامة، ويعتقد البعض أن التستر وراء الدين يبعث الفاشية المتسترة بالدين وهذا هو الخطر، ولا يمكن للشعب أن يتدخل ولا أن يقاوم الأذى الذي يحيط به قبل أن تتمكن الفاشية المتسترة بالدين بأن تعلن نفوذها، والجو السائد حاليا للأسف يشجع على هذا. وفي الماضي، كان ما يسمى الإرهاب أو التستر وراء الدين أقوى من الموجود حاليا، لكن كان الشعب مستيقظا وكان قادرا على التمييز وكان متدينا وكانت له قيادة متدينة، ولكن هذه القيادة كانت تعمل على إبعاد الدين عن السياسة، وذلك هو مربط الفرس، فأخطر ما يواجهه مجتمعنا حاليا خشية أن تسيطر الفاشية المتسترة بالدين ويأتي جحيمها ليحل محل نار الفاشية المتسترة بالعسكرية.

ممدوح بدر (مهندس):

من منطلق الرؤية العالمية وما تكيله لنا الدول الكبرى، أود لو أضع خبرة حياتي في كلمة قصيرة، حينما كنت أترك النمسا بعد إقامة عشرين سنة في أوروبا كعودة نهائية، كنت أنصت لأحد المستشارين الذين استجلبهم الرئيس السادات، وقد سألت المذيعة هذا المستشار قائلة ماذا تنصحنا أن نفعله في مصر من استثمارات؟ فرد قائلا

"عليكم الاستثمار في مصر بحرص وبابتعاد"، وحقا إن هذا هو الذي يحدث حتى الآن، إن الدول الكبرى لا تستثمر في مصر من أجل إنعاش اقتصادنا وإنما من أجل صالحها ومن أجل السيطرة على الطاقات التي تخدم إنتاجها. هذه جزئية في منتهى الأهمية، فعلينا أن نعتمد على أنفسنا، وبالعلم الذي ينادي به معالي الوزير علينا أن نستفيد من إمكانياتنا، وأنا أود أن أشارك بأفكار لخدمة مجتمعنا، والشباب هو أحوج الناس للمساندة في هذه الاجتهادات لأنه علينا أن نتحرر وأن نتحد.

وحول الخطاب الديني، فأنا أرجو من الخطباء عدم التشنج، فليست هذه هي قوة الإيمان، ولكن يجب أن نكون موضوعيين، ونحن أحيانا نجلس في خطبة الجمعة ولا نفهم شيئا من صخب الميكروفونات، ويثير ذلك استهزاء المجتمع الأوروبي بنا وسخريته منا وهم يتابعون هذا.

محمود الشرقاوي (لواء بالمعاش):

بالنسبة للدعاة الجدد من غير الأزهريين، هل يعتبرهم معالي الوزير أصدقاء للإسلام؟ وهل درست الوزارة أسباب نجاحهم في اجتذاب هذه الأعداد الكبيرة من الشباب والإنصات لهم لنستفيد من ذلك في الإنصات للدعاة الأزهريين؟ وحول ما أشير بالنسبة للعلم، ليست كل الدول الإسلامية متخلفة، فهناك دول متقدمة للغاية، وليست كل الدول الإسلامية مستهلكة، فهناك دول منتجة وأضرب مثال بماليزيا وباكستان ودول أخرى، وأنا أعتقد أن السبب يرجع إلى رؤساء الدول الإسلامية، فإذا كانوا يدعون إلى العلم فستتجه دولهم إلى العلم.

محمد حسنين أحمد:

أشار معالي الوزير إلى أن الجهلاء بالإسلام يُعتبرون من أهم التحديات للإسلام في هذا العصر، ولذلك أتساءل عن دور أولي الأمر منا في أهم الأجهزة التعليمية أو الإعلامية؟ لأنه توجد فيها تحديات واضحة جدا، ولذلك أسأل ما هو دورنا؟ وهل هناك أمل في إصلاح أنفسنا من الداخل عن طريق إصلاح هذه الأجهزة؟

سيد سليمان:

في إطار إعادة تجديد الخطاب الديني، بُدئ في استخدام مصطلحات عن طريق المثقفين العرب وبدأوا يرددونها، ونحن نبغي الإيضاح من معالي الوزير، وهل استخدامها استخدام صحيح؟ وقد بدأت هذه المصطلحات تمثل طائفة دينية معينة، وفجأة أعيد إنتاج هذه المصطلحات فمُثلت على أنها العقيدة الخالصة دون تدخل من السلف، ثم أعيد استخدامها على أنها تمثل التعصب الكامل، ثم استُخدم مصطلح آخر يمثل طائفة دينية أعيد استخدام واستنساخ هذا المصطلح الآخر إلى أنه يمثل الحداثة والتجديد أقصد الأرثوذكسية والبروتستانتية، فأصبح المثقفون مرة يتكلمون على الإسلام الأرثوذكسي ومرة يتحدثون عن اليهودية الأرثوذكسية، ومرة يقولون إننا نحتاج إلى بروتستانتية جديدة، ومرة نحتاج إلى "كالفِن" جديد و"مارتن لوثر" جديد. فماذا تعني الأصولية؟ وما هي العلاقة الجدلية بينها وبين السلفية؟ وهل الإسلام أكثر العقائد سلفية؟ والدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية كتب في الأهرام

أن المؤسسة الدينية في مصر تتكون من أربع مؤسسات : مشيخة الأزهر، جامعة الأزهر، وزارة الأوقاف ودار الإفتاء. وفي إطار الإصلاح كان في الغرب صدام مع المؤسسة الدينية، وفي إطار الإصلاح المشكلة هنا هي غياب المؤسسة الدينية، وفي الغرب لم تكن المؤسسة الدينية في الغرب تترك مكانا للفرد حتى يتنفس، أما المؤسسة الدينية عندنا فغائبة.

صلاح فضل:

لا يجب أن نُحمل الدكتور محمود حمدي زقزوق وزر حديث لم يقله، وهذا أيضا مما يخرج عن صميم موضوع الندوة وتقاليد منتدى الحوار.

فتحي حجازي:

من قراءتي في نيويورك في المكتبات العامة، وخاصة المكتبة اليهودية، هناك صفحة ١١٤ في إحدى الكتب تقول إن العداوة بين العرب واليهود هي من تاريخ ولادة سيدنا إسماعيل ثم من بعده إسحاق. كذلك، بخصوص موضوع هدم المسجد الأقصى، إن الكتب والموسوعات الموجودة باللغة الإنجليزية تقول إنه تمت هناك محاولة ذبح سيدنا إسحاق، والتاريخ الإسلامي بعضه يقول إن محاولة الذبح تمت مع سيدنا إسماعيل، وهناك حوالي خمسة عشر تفسيرا تمت ترجمتهم في معهد الدراسات في كاليفورنيا يقول بعضه إن محاولة الذبح كانت لإسحاق والبعض الآخر يقول إنها كانت لإسماعيل. وباعتباري مقيمًا في هذه البلاد، فإنني أقول أن هناك الكثير مما هو ضد الإسلام يُذكر هناك، وأنه يجب على المسلمين في هذه المنطقة أن يتعلموا اللغات الأجنبية وأن تكون في أوروبا وأمريكا مؤسسات بحثية، وليست مساجد مثلما هو الحال الآن هناك كل همها إقامة الشعائر. فإن لم نكن كمسلمين نزرع أنفسنا في هذه البلاد، ونزرع مثقّفين في هذه البلاد للبحث عن الحقائق، فلن نكون دوما على وعي كامل بما يحاوله هؤلاء ضد الإسلام.

مجدي حسين (أستاذ دكتور):

لقد ذكر معالي الوزير نقطتين، أن حالة التأخر والتخلف هي "أمر عارض"، فهل هناك أمر عارض يمكن أن يستمر ثمانية قرون تقريبا منذ سقوط بغداد وهو مرشح للاستمرار قرونًا أخرى؟ هل هناك أمر عارض يستمر هذه الفترة الطويلة؟ الأمر الثاني هو قول معالي الوزير أن الإسلام دين يدعو إلى العلم، أعتقد أن الإسلام يدعو إلى العلم الديني أو العلم الشرعي أكثر من الاهتمام بالعلوم الدنيوية، فأرجو أن يكون هناك تفسير لهاتين النقطتين.

محمد عبد الحميد (مهندس):

أود أن أشير إلى أن الإرهاب يُستخدم ضد الإسلام، والذي يساعد على ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على فطرة أن يعبد الله ويظل يبحث عنه إلى أن يجده من خلال الأديان السماوية، فالمناهج التعليمية عندنا

تحتاج إلى إضافات، وقد حزنت للغاية أنهم رفعوا درجات مادة التربية الدينية من المجموع وهذا مما تسبب في إهمال تدريس هذه المادة في المدارس.

كذلك، بالنسبة للفهم الخاطئ للإسلام، أقول إن القرآن الكريم يقول "**لو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**"، وأنا أتمنى أن نتوسع في البحث في هذه المسألة بالذات حتى نوجِد أدلة على تقبل الأديان الأخرى داخل المجتمعات الإنسانية بحيث لا يكون هناك صراع، وأنا أعتقد أنه لا يوجد صراع بل هو حسن جوار، وأنا أضرب مثلاً بالموتور الذي عندما يختلف التيار الكهرومغناطيسي داخل الموتور يعمل على حركة الموتور، وكذلك في اختلاف الأديان حيث يتنافس الناس جميعًا مما يساعد على دفع المجتمع إلى الأمام.

عبد المحسن كُميل (أستاذ في كلية الزراعة جامعة الإسكندرية):

سوف أركز سؤالي على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فقد كنت أود أن أعرف كيف يتم اختيار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأتساءل إذا ما كان قد آن الأوان لكي يكون لهذا المجلس لجان متخصصة علميا وفروع في المحافظات المنتشرة في جمهورية مصر العربية. كذلك، أتمنى أن يكون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية دور بارز بالنسبة للعلماء الأفاضل الذين يظهرون على الفضائيات ويبرزون معالم للدين بطريقة أشعر معها بالخزي وكأن هذا هو الدين، وأتمنى حتى لا تحدث مباراة ومنافسة في حلبة العلم أن يكون هناك تركيز على أن تصل الرسالة إلى أولادنا بشكل أفضل. وأخيرا، أتساءل هل كنا في حاجة إلى أن يقرَّ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الكتاب الخاص بالسيرة النبوية للجد الخامس لبوش؟

محمود حمدي زقزوق:

أود فقط أن ألفت النظر إلى أن هناك خلطا بين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية، فالأخير تابع للأزهر الشريف برئاسة شيخ الأزهر، أما المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فهو أحد قطاعات وزارة الأوقاف.

محمد السيد مسعود (مدرس ثانوي علم نفس):

إن الفكر يُحارب بالفكر سواء في داخل العالم الإسلامي أو في خارج العالم الإسلامي، والدليل على ذلك كتاب "الرد على شكوك أعداء الإسلام" الذي صدر للرد على أعداء الإسلام في الخارج وبشكل منظم فكريًّا ومنطقيًّا، ولو قمنا بترجمة هذا الكتاب وقمنا بتوزيعه في سفاراتنا في الخارج فسوف نقوم بعمل دعاية للإسلام وسوف نوضح مدى ضعف أعداء الإسلام في الرد على المسلمين.

كذلك، أقول إنه مثلما أنشأت وزارة الأوقاف موقعًا لها على شبكة الإنترنت ترد من خلاله على كثير من الاستفسارات، أتمنى أن نقوم بتعليم أئمة مساجد الأوقاف في كل منطقة أن يخرج كل منهم بفكره للرد على الأمور المختلفة في الدين بحيث يكون لدينا رد كبير وشامل على كل الأمور التي تعترض حياتنا.

وأخيرا، أتمنى أن تتعاون وزارة الأوقاف مع وزارة التربية والتعليم في وضع مناهج التربية الدينية بحيث تعالج المشكلات الحالية التي تواجه الدين من إرهاب وتطرف ومن اتهامات من أعداء الإسلام، وأن يتعاونا معا لتحقيق هذا الأمر بدلا من أن يُترك فقط لموجهي اللغة العربية وغيرهم.

مارك عياد:

لقد تحدث معالي الوزير عن سماحة الإسلام، لكن هذه ليست المشكلة التي أدت إلى الإرهاب، و لم يذكر معالي الوزير الأسباب التي أدت إلى الإرهاب. أرجو أن يسمح لي معالي الوزير أن أنتقد موقف الأزهر من مصادرة كتب بعض المؤلفين والمفكرين والكُتاب، على الرغم من أنهم قد ألفوا كتاباتهم استنادا على أدلة علمية وتاريخية، وهو يتعارض مع ما أشرتم إليه من أن الإسلام دين تسامح وقبول الآخر. والمشكلة الأخرى أن الأزهر يصادر كتبهم والإرهاب يصادر حياتهم، وقد رأينا ما حدث مع المرحوم الدكتور فرج فودة ومع الأستاذ نجيب محفوظ ويحدث الآن مع الدكتور سيد القمني.

وأخيرا، أود أن أختلف مع معالي الوزير في مسألة تحامله أكثر من اللازم على الغرب، صحيح أن الأمم المتحدة لم تستطع أن تحمي المسلمين في البوسنة، لكنها أيضا لم تستطع أن تحمي الأبرياء في رواندا ولا في الكونغو ولا في تيمور الشرقية ولا في جواتيمالا، فالمشكلة ليست عداء للإسلام، وإنما المشكلة في ثقافتنا نحن، فلدينا ثقافة إرهاب، فلا يوجد شخص محبط في العالم يفجر نفسه، أي شخص محبط في العالم من الممكن أن ينتحر أو أن يطلق الرصاص على من يجاوره، لكن أن يفجر نفسه في أبرياء فهذه لا تحدث إلا في العالم الإسلامي، وهذا معناه أن هناك خلل في ثقافتنا، ومنذ تسع سنوات ومعالي الوزير يعتلي كرسي الوزارة، وأنا لم أشعر خلال هذه الفترة وحتى الآن أن هناك أي تغيير في الخطاب الديني أو الإعلامي أو في مناهج التعليم.

عبد الرحمن رمضان (طالب):

تحدث معالي الوزير عن الإرهاب، وأنا أريد أن أؤكد أن من يفعلون ذلك فإن غرضهم ألا يكون هناك أمان في مصر، وأن تقول البلاد العربية والأجنبية أن مصر دولة غير آمنة.

عبد الله أسامة:

هناك تعليق على ما قاله الدكتور صلاح فضل من أن مصر قد ارتجفت عندما حدثت هذه الحادثة الأليمة، وأنا أقول إن مصر وللأبد لا و لم ولن ترتجف مقابل أي حادث من هذا القبيل لأنها تسير على خطى ثابتة وإن حدث ما يزعزعها قليلا. كذلك، أستأذن الدكتور محمود حمدي زقزوق في أن أقول إن أصحاب العمامات الحمراء

وأصحاب الجلابيب الخضراء وأصحاب العمامات الصفراء وغيرهم قد أقسموا جميعا على أن فهمهم هو الفهم والفكر الصحيح للإسلام، وكل من هذه الفئات يدَّعي أنه الأفضل في الفهم لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أقسم على ذلك أسامة بن لادن وجماعته كما أقسمت على ذلك تلك المرأة التي قامت بخطبة الجمعة في أمريكا، والسؤال هو كيف يتسنى لنا أن نفهم المنظور الإسلامي السليم بعيدا عن كل هؤلاء والذين يحاول كل منهم جذبنا ناحيته؟ وكيف لنا أن نصدق في ظل تلك الغيبوبة التي اجتاحت الإعلام العربي والغربي والتي تهدف السيطرة على شبابنا؟

بثينة شريف:

أريد أن أثير مسألة شخصية، فأنا طالبة في سنة أولى وسأنتقل بإذن الله إلى سنة ثانية في المركز الثقافي الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف في محرم بك في الإسكندرية، وقد قررت أن أذهب لأتعلم ديني على الوجه الصحيح وأتعلم كيف أفعل ما ينفع، وقد صدمت بعدما ذهبت، وعلى الرغم من أنني قد تعلمت الكثير على يد أساتذة أفاضل أكرمهم الله وقد منَّ الله عليّ بالنجاح، إلا أن المشكلة أنه من محاضرة إلى أخرى كان الأساتذة متناقضين إلى حد كبير للغاية، فكل منهم كان يقول كلاما يخالف الآخرين وقد وصل ببعضهم إلى التطرف في الفكر، فأستاذ الفقه مثلا كان يردد أفكارا غير معقولة أبسطها قوله إنه في العصر الحالي لا يأمن أحد على نفسه حتى من أهله، وإنه من المفروض أن تمكث المرأة في المنـــزل أمام والدها وأخيها بكامل الحجاب والزي الإسلامي، وتحاصرنا في هذا البرنامج أفكار مشوشة طوال العام، وقد وصل الحال بنا إلى أن نحفظ كلمات من كتب الدراسة ثم نكررها في الامتحان حتى ننجح، وقد تغير بذلك الهدف الذي دخلت من أجله هذا المركز وهو أن أعرف وأتعلم.

سلمى محمد أحمد حسين (طالبة في كلية التجارة (قسم اللغة الإنجليزية) – جامعة الإسكندرية):

لاحظت في الأيام الأخيرة أن الكثير من الطلبة أحبوا الإسلام، ومنهم أيضا من كان مسيحيا وأسلم، وقد بدأت الطالبات يقتربن من الإسلام، فبدأت الطالبات يرتدين الحجاب والعباءات، إلا أننا للأسف الشديد لا نجد الدعاة ولا دور الأزهر ليجيب على أسئلة الشباب والذي يضطر إلى اللجوء إلى الإنترنت أو إلى القنوات الفضائية، وبالطبع أيضا فإن ما يُقال في هذه القنوات من الممكن أن يكون صوابًا أو خطأ، كما أن هناك بعض المساجد تقوم بعمل ندوات وجلسات يُقال فيها كلام غريب، ولا نعرف حقيقة إذا ما كان هذا الكلام يمت للإسلام أم لا لأنهم يحرِّمون كل شيء، وهناك مساجد أخرى تحلل كل شيء، وهناك مساجد تجعلنا نتقرب إليها ثم نكتشف أنها تدعونا إلى الجهاد والضرب والاعتداء ! فأتمنى أن يوضح معالي الوزير دور الأزهر الشريف في الجامعة.

صلاح فضل:

سأختار بعض المناوشات أو الأسئلة الصغيرة من واقع ما وصلني، لدي سؤال يقول: "حدث لغط كبير حول مسألة توحيد الآذان ثم لم نرَ شيئا يحدث، فهل تكون القرارات وتنفيذها مرهونة بمواقف غير دينية وما هو

وجه الحق في الموضوع؟". سؤال آخر مطروح من جريدة صوت الأمة يقول: "هل هنا سياسة جديدة تتبعها وزارة الأوقاف في الخطاب الديني عامة بعد التفجيرات؟" وسؤال آخر يقول: "هل هناك عقوبة للأئمة التي تستخدم المساجد للدعوة للجهاد وتستخدم المساجد للدعاية الانتخابية؟ وما هو وجه الحق في استخدام الدعاة للدخول في المعترك السياسي؟ هل هذا يحدث أم أنها تشنيعات صحفية؟" وسؤال آخر يقول: "هناك أماكن لتحفيظ القرآن في بعض الأماكن لتعليم الصغار بدون رقابة، ألا يمكن أن تتحول هذه المراكز لبؤرة لانتشار الأفكار المتعصبة؟" وسؤال آخر يقول: "لماذا يندفع بعض الشباب لممارسة الإرهاب؟ علمنا التاريخ أنه يكرر نفسه، فالصدام قادم بين الغرب الذي يبحث عن عدو وبين الإسلام فماذا أعددنا لذلك؟" وسؤال أخير: "هل هناك مانع من بناء محطة تليفزيونية إعلامية على الأراضي المملوكة لوزارة الأوقاف وما أكثرها حتى تكون علامة طيبة لصد الهجمات الشرسة من الخارج؟"

محمود حمدي زقزوق:

الشكر الجزيل لكل الأخوة الذين طرحوا ما يعنُّ لهم من أفكار، أو وجهوا أسئلة، وأنا لا أضيق صدرا بأي سؤال أو بأي نقد مهما كان، ورائدي في ذلك العبارة التي تُنسب إلى عمر بن الخطاب "رحم الله امرءًا أهدى إلي عيوبي" ولنضع تحت كلمة "أهدى" عشرين خطًّا، فكأن من يبين لي عيوبي يهديني هدية وبالتالي فأنا أشكره عليها.

ولا يمكن للمحاضرة أن تثمر ثمرة إلا إذا كان هذا الحوار بيننا، وإلا سيسمع كل منا كلمتين وينفضُّ السامر ويعود كل إلى بيته دون تبادل للأفكار، وهذا أمر لا يجوز بأي حال من الأحوال، ولذلك أنا أحيي منتدى الحوار لأن الحوار يُعتبر عنصرًا أساسيًّا من هذه اللقاءات.

وقبل الدخول في تفاصيل الإجابة عن الأسئلة المطروحة أود أن أؤكد على قضية "سلم الأولويات" التي أشار إليها الأستاذ الدكتور صلاح فضل، إن الأمر المؤسف أن هرم الأولويات في عالمنا الإسلامي مقلوب على الرغم من أن هناك قضايا مصيرية عديدة، وفي العام الماضي، كنت في معسكر أبي قير للشباب الواعد يبلغ عددهم حوالي ألفي شاب كلهم من شباب الجامعات، إلا أن مستوى الأسئلة التي سمعتها من بعض الطلاب أصابني بالفزع، وتساءلت في نفسي هل هذا هو الدين الذي نفهمه؟ فقد سألني أحد الطلبة ما إذا كان يجوز شرعا أن يشمِّر كم القميص؟! وكأن ذلك حرام في الدين! وسؤال آخر حول الصلاة – ومن المعروف أنه يجوز أن نصلي في أي مكان ولو على الأرض في الشارع – فسألني ما إذا كان مسموحا له أن يمسح التراب الذي قد يكون قد علق بجبهته أثناء السجود وذلك لأنه إذا مسح جبهته فقد لا تظهر عليها زبيبة الإيمان! فهل وصلنا إلى هذا الحد من الاهتمام بالقشور؟ إن هذا يذكرنا بما كان يفعله الخوارج في بداية التاريخ الإسلامي، فقد كانوا يستحلون قتل خصومهم من المسلمين ولكنهم في الوقت نفسه كانوا شديدي الحرص على معرفة مدى صحة الصلاة في ثوب علق به دم البراغيث!

تطبيق الشريعة:

ردًّا على الأستاذ عبد الفتاح متولي بخصوص تطبيق الشريعة الإسلامية، أتساءل: ما معنى تطبيق الشريعة الإسلامية؟ لو سألنا أي شخص عن معنى تطبيق الشريعة الإسلامية لقال على الفور إنه إقامة الحدود، أي رجم الزاني وقطع يد السارق والقتل ... إلى آخره وكأن الإسلام جزار يقف ممسكا بسكين يقطع بها رقاب الناس وأياديهم! مع أن هذه الحدود لا تمثل في الشريعة الإسلامية أكثر من ٥%، فأين الـ٩٥%؟ هل حققناها؟ والإجابة لا لم نحققها. فلماذا لا نطالب بتطبيقها؟ لننظر معا إلى ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالحدود، فقد قال :"**ادرءوا الحدود بالشبهات**"، و لم يحدث في تاريخ الإسلام أن أقيم حد الرجم إلا بالاعتراف، ولننظر أيضا إلى ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع ماعز عندما ذهب إليه معترفا بذنبه، فقد ذهب ماعز ثلاث مرات إلى الرسول يقول له: "يا رسول الله، أنا زنيت، أقم عليّ حد الرجم"، فلا يرد عليه الرسول ولا يلتفت إليه ويتركه، وتكرر هذا الموقف من الرسول ثلاث مرات، حتى نبه أبو بكر الصديق ماعزًا بأنه قد قال هذا للنبي ثلاث مرات، وأنه إذا كررها له للمرة الرابعة فسيقيم النبي عليه الحد، فذهب ماعز للمرة الرابعة وكرر اعترافه أمام الرسول فأمر الرسول بإقامة الحد عليه، وعندما بدأ الصحابة يرجمونه هرب فظلوا وراءه يرجمونه حتى قتلوه، ثم ذهبوا يروون للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الموقف وأن ماعزًا هرب في أثناء رجمه فتبعوه راجمين وقتلوه، فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم مستنكرا أنهم تبعوه بالرجم وأنه كان عليهم تركه ليهرب! وفي أيام علي ابن أبي طالب، أتوا له بسيدة تُدعى سلاَّمة اتُهمت بالسرقة، فسألها علي بن أبي طالب :" يا سلاَّمة هل سرقت؟ قولي لا"، فقالت "لا"، فلم يُقم عليها الحد. وهناك عقوبات أخرى بديلة في الإسلام، فالإسلام ليس جزارا متعطشا للدماء. إن هذا الفهم السقيم الذي يصور الإسلام بأنه دين وحشي ودموي فهم غير صحيح، وهذا هو ما يقوله الأجانب عن الإسلام، لكن انظروا إلى الإسلام نفسه لتعرفوه.

مقاصد الشريعة:

إن الإسلام يعتمد في النهاية على الإيمان الحقيقي وليس على الإيمان الشكلي، وعندما يتم الاقتناع بالإسلام وبمقاصد الشريعة الإسلامية، فسوف نكتشف أن الشكليات لا أهمية لها. ولذلك لابد قبل كل شيء أن نعرف ما هي مقاصد الشريعة الإسلامية؟ إن مقاصد الشريعة الإسلامية هي ضمان لحماية النفس وضمان لحماية العقل وضمان لحماية الدين وضمان لحماية المال وضمان لحماية النسل، وهكذا نرى أن حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل هي الحقوق الأساسية التي تتفرع منها كل حقوق الإنسان الأخرى. هذا هو الإسلام، فلماذا نترك مقاصد الشريعة الإسلامية ونتمسك بالتدين الشكلي؟ إن هناك من يرتدون الجلباب القصير – والذي لابد وأن يكون قصيرا – وأن يكون للحيتهم مقاس معين ويرتدون "الطاقية الشبيكة" ويظنون أنهم بهذا قد استوفوا شروط الإسلام؟! وإذا صاموا وصلوا وحجوا يعتقدون أنهم ضمنوا الجنة! مع أن النبي صلى الله عليه وسلم حُكي له شأن امرأة تصوم وتصلي وتزكي ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال "**هي من أهل النار**"، لأنه هو نفسه الذي قال "**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**".

الحضارة فريضة إسلامية:

إن الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق وحضارة، والعنصر الرابع وهو الحضارة هو الفريضة الغائبة مع أنه مأمور بها في القرآن الكريم، في قوله تعالى : "**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**" وأي تلميذ صغير في المدارس يعرف أن الكلمة الثلاثية إذا دخل عليها الألف والسين والتاء تعني الطلب، فكلمة "عمر" عندما يدخل عليها الألف والسين والتاء تعني "طَلَب العمران"، فالله طلب منا عمارة الأرض أو بالتعبير الحديث صنع الحضارة فيها ولن يكون ذلك إلا بالعلم، ولذلك عندما أنزل الله آدم إلى الأرض سلحه بالعلم، وعندما عرض الله تعالى هذا العلم على الملائكة لم تعرفه لأن الملائكة مهمتها التسبيح والتقديس والتحميد فقط وليس إعمار الأرض، ولذلك لم تعرف هذا العلم و لم تفهم معناه لأنها ليست مطالبة به. لقد سلَّح الله آدم بالعلم حتى يعمر هذه الأرض بهذا العلم، أما نحن فقد أصبح الإسلام عندنا مجرد شكليات ورسوم وأشياء لا صلة لها بالدين، مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول "**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**". إن الله لم يأمرنا أن نفتش في قلوب الناس لنرى ما إذا كانوا مؤمنين أم لا، فكل فرد حر في اختيار عقيدته، فالدين الوحيد الذي أقرَّ حرية الدين بطريقة صريحة لا تقبل الشك هو الإسلام، والقرآن الكريم يقول "**لا إكراه في الدين**" ويقول أيضا "**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**". وبالمناسبة أرد على الأستاذ مارك عياد في مسألة التسامح، فالعلاقات بين الناس وبين الأديان يحكمها القرآن الكريم بقوله "**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**"، بمعنى أنه طلب ثلاثة عناصر أساسية وهي الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح، و لم يدخل في تفاصيل من يدخل الكنيسة ليتعبد أو ماذا يفعل ومن يدخل المسجد ليتعبد أو ماذا يفعل، وليس مطلوبا أن يفتش أحد في قلوب الناس وعقولهم ليعرف ما إذا كانوا مؤمنين أم لا، ومن يفصل بين الناس وبعضهم يوم القيامة هو الله سبحانه وتعالى. إننا في حاجة إلى إعادة قراءة القرآن الكريم لكي نفهمه، يقول الله تعالى " **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد**"، فهو وحده سبحانه وتعالى الذي يفصل بين الناس وليس البشر.

إن علينا عندما نتحدث عن تطبيق الشريعة أن نفهم المقاصد العليا للدين الإسلامي ونحدد بالضبط مفهوم الشريعة الإسلامية. وقد أتيحت لي فرصة السفر إلى بلاد إسلامية كثيرة، وأنا أؤكد لكم أنه لا يوجد إسلام على أسس سليمة وبعيد عن التعصب للمذهبيات الضيقة إلا في مصر، ومصر منذ عرفت الإسلام حتى يومنا هذا يسود فيها الاعتدال والوسطية والتسامح، وكل الظواهر الأخرى السلبية طارئة على الأمة المصرية، وأنا شخصيا عندما كنت طفلا كنت أسمع صوت المؤذن وكنت أسمع أيضا صوت جرس الكنيسة و لم أكن أشعر بأي تنافر، فكلنا مصريون، لكن بعضنا يصلي في الكنيسة وبعضنا الآخر يصلي في المسجد، وكل فرد حر، فالعبادة مسألة شخصية تخص كل فرد، لكننا في النهاية نعيش على هذه الأرض، وهذا الوطن ملك لنا جميعا ونحن نحرص عليه جميعا، وتسيل دماؤنا دفاعا عن هذا الوطن، وعلى ذلك فلا يوجد أي سبب معقول على الإطلاق يدعونا إلى أن نتقاتل أو نتحارب

بسبب اختلاف الدين. ولذلك أرجو أن نُعمل العقل والمنطق لنفهم ونتأمل ونتذكر، والقرآن الكريم أرسله الله لنا لنتدبر آياته، "**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**"، أرجو أن أكون قد أوضحت مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن الممكن أن نتحدث في هذه المسألة بالذات حتى الصباح إلا أن كل لبيب بالإشارة يفهم كما يُقال.

الإسلام والغرب:

أما ما يتعلق بالغرب الذي لا يستطيع أن يعيش بدون عدو وضرورة تحسين صورة الإسلام في الخارج، فأود أن أقول إنني كنت أصف الحالة الموجودة في الغرب، فالعدو الذي كان يحاربه الغرب كان متمثلا في الشيوعية، وبعدما انتهت الحرب الباردة وتم الانتصار على الشيوعية وطُرد الشيوعيون من أفغانستان وانهار الاتحاد السوفيتي كله وسقطت الشيوعية، بدأ الحديث عن العدو البديل، والعدو البديل هو العدو الأخضر بدلا من العدو الأحمر، وذلك في تصور البعض، وأنا لا أقول إن الغرب كله كذلك، ففي الوقت الذي فيه من يروج لدعوى صدام الحضارات، كانت هناك في أوروبا في نفس الوقت وعلى مستويات كبيرة جدا مؤتمرات لحوار الحضارات، ترفض رفضا قاطعا دعوى صدام الحضارات، لذلك لا نريد أن نضع الغرب كله في سلة واحدة، فليس الغرب كله شرا وليس كله خيرا، وإنما هناك عناصر سيئة وهناك عناصر جيدة، وتشويه صورة الإسلام في الغرب ليس المسئول عنه هو الغرب وحده، وإنما نحن كمسلمين مسئولون مسئولية مشتركة في الإساءة لصورة الإسلام في الغرب. ومنذ سنوات، قرأت في إحدى الجرائد أنه تم تشكيل حزب إسلامي في إنجلترا يدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية هناك، فهل هذا كلام معقول؟ إنهم بهذه الطريقة يخيفون الناس هناك ويدفعون المسئولين لطردهم، فأوروبا التي وفرت لهؤلاء الملجأ والملاذ تأتي إليها الآن هذه الدعوة للإسلام في الغرب والتي تتم بطريقة بشعة من جانب البعض تخيف الغربيين من الإسلام. ومنذ حوالي ست سنوات، كان هناك مؤتمر عن حوار الحضارات في برلين في ألمانيا، وفي الجلسة الافتتاحية، تحدث رئيس البرلمان عن أن المسلمين في ألمانيا لابد أن يحترموا الدستور ويحترموا القانون الألماني، وفي الظهيرة، كنت أرأس إحدى جلسات المؤتمر، فقام أحد المسلمين الحاصلين على الجنسية الألمانية يتساءل مستنكرا كيف يقول رئيس البرلمان إننا كمسلمين لابد أن نحترم الدستور والقانون الألماني على الرغم من كونه مناقضا للإسلام؟! فأجبته إجابة بسيطة للغاية قائلا له عليك أن تذهب للعيش في بلد آخر، فما الذي يجبرك على العيش في ألمانيا إذا كان هو رأيك واقتناعك؟! إذن، نحن مسئولون مسئولية جزئية على الأقل عن تشويه صورة الإسلام في الخارج.

الشيعة والمذاهب الأخرى:

وفيما يتعلق بالبهائية والماسونية والشيعة، أقول إنه قد زارني منذ فترة مندوبون من لجنة الحريات الدينية بالكونجرس الأمريكي، وقال لي رئيس المجموعة إن هناك ثمانية من الشيعة مقبوض عليهم منذ سبعة شهور و لم يُقدَّموا للمحاكمة، فقلت له إن هناك ثمانمائة شخص معتقلين في معسكر جوانتانامو منذ ثلاث سنوات و لم يُقدَّموا للمحاكمة! فلم يعلِّق، وأنا أؤكد لكم أنه لا يوجد أي شيعي على الإطلاق في السجون حاليا وأنا متأكد من ذلك تماما. ونحن لسنا ضد الشيعة، فالشيعة ظهروا بعد خلاف سياسي تاريخي قديم من شأنه أن يدخل متحف التاريخ،

والأمر كله أنهم قالوا إن الأحق بالخلافة كان علي بن أبي طالب، في حين اختار المسلمون أبا بكر الصديق، وجاء دور علي بن أبي طالب في الترتيب الرابع في الخلافة، وهذا هو أصل الخلاف، إنما القرآن عندهم هو ذاته القرآن الذي عندنا، وهم يصلون ويصومون ويزكون ويحجون مثلنا، وأصول الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخره هي التي يؤمنون بها، وهذه هي المسألة ببساطة، ولا نريد أن نضخم الأمور. وأود أن أشير إلى أنه كانت هناك في مصر قبل ثورة يوليو جماعة تُسمى "جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية"، وكان بها شيوخ الأزهر الكبار مثل الشيخ المراغي والشيخ شلتوت والشيخ المدني والشيخ عبد العزيز عيسى وغيرهم من الأعضاء الذين كان لهم دور بارز في هذه الجماعة. وعندما قرر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إصدار موسوعة للفقه الإسلامي، جعلها تدور حول ثمانية مذاهب للفقه الإسلامي وليست أربعة فقط وهي: الشافعية والحنفية والحنبلية والمالكية والجعفرية والإباضية والزيدية والظاهرية. فمصر طوال تاريخها بلد التسامح وليس بها أي تشدد، والأزهر منذ حوالي ألف عام يقوم بتدريس المذاهب الأربعة كلها، وكل طالب يدرس وفقا للمذهب الذي يريده حتى تخرُّجه ودون حساسيات، وعندما جاء الشيخ شلتوت شيخا للأزهر، أضاف مذهب الجعفرية للدراسة في كلية الشريعة وتم ذلك بالفعل دون حساسيات.

الأوقاف:

أما مسألة حل الأوقاف الأهلية والخيرية، فإن الإجابة عن ذلك هي أنه قد تم حل الأوقاف الأهلية فقط بعد الثورة، أما الأوقاف الخيرية فلم تُحَل، وإنما بقيت، إلا أنه كان هناك بعض القوانين التي أُلغيت فيما بعد تسببت في ضياع الكثير من أملاك الأوقاف، وعندما جاء الرئيس السادات، أصدر قانونا بإنشاء هيئة الأوقاف المصرية، والتي استردت ما تبقى لدى هيئة الإصلاح الزراعي في ذلك الوقت والتي كانت توزع الأرض على الفلاحين، ولا تزال توجد هناك بعض المشاكل بين الوزارة والإصلاح الزراعي لم يتم حسمها حتى الآن.

الإرهاب:

وردا على سؤال الدكتور عبد المحسن حمودة عن دور الدولة في محاربة الإرهاب وأنها لم تقم بدورها السليم، أود أن أشير إلى أنني أتفق مع فكرة أن الإرهاب يستخدم شعارات دينية لتحقيق أهداف ومآرب خاصة لا صلة لها بالدين. وأي دولة في العالم معرَّضة للإرهاب الذي أصبح ظاهرة عالمية لا دين له ولا وطن، وفي بريطانيا يحاربون الإرهاب اليوم بنشر كاميرات خاصة في كل مكان، وهناك – كما نُشر في الإعلام أخيرا – مائتان وخمسون ألف كاميرا مثبتة في مواقع مختلفة في لندن ترصد تحركات كل الناس بحيث تظهر صورة الشخص الواحد حوالي ثلاثمائة مرة في اليوم على الشاشة، وفي حالة وقوع حادث إرهابي، تساعد استعادة هذه الأشرطة على معرفة المشتبه فيهم. وفي مصر، لابد أن تُتخذ الإجراءات الأمنية بطبيعة الحال لحماية أمن واستقرار هذا البلد والذي يُراد له أن تعم فيه الفوضى، ولابد أن نلتفت إلى هذا جيدا، إن مصلحة مصر أمانة في عنقنا، ولابد أن نحرص عليها جميعا،

حكومة ومعارضة وجمعيات أهلية وجمعيات حكومية، وبذلك نصون هذا البلد من كل شر، فالمسئولية مشتركة بين الجميع.

تشنج الخطباء:

وردًّا على المهندس ممدوح بدر حول موضوع تشنج الخطباء، أقول إنني أتجول في المحافظات كلها، وأجتمع بالخطباء وأقول لهم إنني أعجب من صراخهم أمام الميكروفون؟ إن الميكروفون آلة تُكبِّر الصوت، الذي يصل إلى آذان كل المصلين في المسجد، وليس هناك أي مبرر على الإطلاق للتشنج والانفعال والصراخ. فذلك كله يتسبب في ألا يفهم الناس ما يقوله الخطيب. وتعليمات الوزارة للدعاة صريحة في هذا الشأن، ومدير أوقاف الإسكندرية يحضر معنا اليوم، وعليه أن يوجه هذا الكلام إلى الخطباء.

صلاح فضل:

وميكروفونات الجوامع، أنقذونا منها أنقذكم الله!

محمود حمدي زقزوق:

توحيد الآذان:

بالمناسبة سأرد على مسألة توحيد الأذان، فعندما عرضنا مسألة توحيد الأذان لأول مرة انطلقت بعض الأصوات المعارضة غير المبررة، وجندت بعض الصحف نفسها في حملة ضد وزارة الأوقاف، لكننا لم نتخلَ عن هذا المشروع، ولن نتأثر بأي ضغوط من هنا أو من هناك، كل ما في الأمر أن الفترة السابقة كانت تجرى فيها دراسات وتجارب، وآخر تجربة كانت في الأسبوع الماضي، ونحن الآن بصدد التعاقد مع جهة متخصصة سوف تقوم بتزويد كل مساجد القاهرة الكبرى التي يبلغ عددها أربعة آلاف بجهاز رسيفر في كل مسجد ليستقبل الإشارة لبدء الأذان فيكون هناك أذان في وقت واحد لكل هذه المساجد، بحيث نعيد للأذان قدسيته وروحانيته التي افتقدناها، وذلك بصوت جميل وأداء حسن، وبالتالي سنقضي على حرب الميكروفونات في وقت قريب إن شاء الله.

الدعاة الجدد:

بخصوص الدعاة الجدد، أقول إننا لسنا ضد الدعاة الهواة مثل عمرو خالد وغيره، وقد قيل إن وزارة الأوقاف ووزير الأوقاف هو الذي أبعد عمرو خالد، وأنا أؤكد لحضراتكم أنني لا أعرفه شخصيا ولم أتحدث معه قبل ذلك ولا أبعدته من العمل بمجال الدعوة على الإطلاق! وقد ذهبت إلى بيروت، ووجدت أن الرجل يقدم برامج في الفضائيات التي تغدق عليه الكثير من الأموال. ونحن في وزارة الأوقاف لدينا داعيات سيدات هواة أيضا نتيح لهن الفرصة في مساجد القاهرة، ولن أذكر أسماءهن حتى لا يكون في الأمر دعاية، والحمد لله كل من نتوسم فيه الخير نفتح له الباب وليس هناك حرج على الإطلاق.

التقدم العلمي:

أما موضوع التقدم العلمي وأن هناك دولا إسلامية متقدمة علميا، فإن هذا صحيح إلى حد ما لكنها متقدمة في جانب ولديها مشاكل كثيرة في جوانب أخرى، والإرهاب الذي تتعرض له باكستان كل يوم نراه جميعا، صحيح أنها أنتجت القنبلة الذرية، لكنها – على سبيل المثال – تعاني أشد المعاناة من المدارس الدينية، ونحن في مصر لدينا مدرسة دينية واحدة فقط وهي الأزهر الشريف، أما في باكستان فكل من يريد أن يبني مدرسة دينية خاصة به فإنه يقوم ببنائها، وينشر من خلالها ما يشاء من الأفكار المتطرفة. وهذا يعني أن التقدم العلمي في جانب معين لم يستطع أن يتحول إلى الآن إلى ثقافة علمية تحكم العقل وتقضي على ضيق الأفق الديني والتعصب المذهبي.

وردا على الأستاذ محمد حسنين، أقول إن الإصلاح من الداخل أمر ضروري ومطلوب، والله سبحانه يقول في القرآن الكريم: "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**".

تجديد الخطاب الديني:

وحول ما أثاره الأستاذ سيد سليمان فيما يخص تجديد الخطاب الديني، أقول إن التجديد قضية إسلامية صِرفة، وليست مستوردة ولا هي تعليمات من أمريكا، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع لنا الأساس عندما قال "**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**"، والنبي نفسه هو الذي استخدم مصطلح "التجديد"، وفي تاريخ الفكر الإسلامي نجد العديد من المؤلفات في موضوع التجديد، وقد ألف الشيخ أمين الخولي كتابه "المجددون في الإسلام" منذ حوالي سبعين أو ثمانين عاما، ولم تكن هناك تعليمات أمريكية، والشيخ عبد المتعال الصعيدي ألف كتاب "المجددون في الإسلام" منذ حوالي ستين عاما قبل التعليمات التي قد يفكر فيها البعض.

إسماعيل وإسحاق:

وحول موضوع إسماعيل وإسحاق، فإنه معروف منذ زمان بعيد أن هناك فرعين من أولاد سيدنا إبراهيم فرع إسماعيل وفرع إسحاق، وأن فرع إسحاق – كما يُقال – هم أولاد الحرة سارة، وأولاد إسماعيل هم أولاد الجارية هاجر المصرية، وقد أصدر أستاذي الألماني والذي يبلغ عمره الآن حوالي ستا وثمانين عاما – والذي تتلمذت على يديه في ألمانيا – أصدر كتابا منذ عامين في منتهى الأهمية، فقد أنصف فيه فرع إسماعيل كله وأنصف فيه هاجر، وقال إن الذي خرج عن العهد مع الله هي سارة وأن فرع إسماعيل كله داخل في العهد مع الله، وبالتالي جعل كل أنبياء فرع إسحاق وفرع إسماعيل أيضا أنبياء حقيقيين بمن فيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

صلاح فضل:

نتمنى أن يُترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

محمود حمدي زقزوق:

يُترجم الكتاب الآن إلى اللغة العربية حيث كلف المؤلف أحد تلامذته في دمشق بترجمته، والمؤلف حريص على أن يراه مترجما للعربية قبل وفاته، وقد تُرجم بالفعل إلى اللغتين الإسبانية والفرنسية.

المؤسسات البحثية الإسلامية في الغرب:

حول ضرورة وجود مؤسسات بحثية إسلامية في الغرب، فأنا مع هذا تماما، وأتمنى أن يحدث ذلك، وقد كان هناك منذ حوالي خمسة عشر عاما مشروع لإنشاء معهد للدراسات الإسلامية ملحق بجامعة هامبورج بألمانيا ويكون للأزهر إشراف عليه، ويكون بجانب الهدف التدريسي مؤسسة بحثية، وكان ذلك أيام الشيخ جاد الحق رحمه الله، وقد ذهبت بتكليف منه إلى مدير جامعة هامبورج بالفعل وأبدى استعدادا تاما، لكن بشرط أن تكون هناك وقفية في حدود عشرة ملايين مارك للإنفاق من ريعها على هذا المعهد. وقد حاول الشيخ جاد الحق رحمه الله مع بعض البلاد العربية أن يحصل على تمويل لذلك ففشلت جهوده. وقد كان تأسيس هذا المعهد ممكنا في ذلك الوقت، أما في الظروف الحالية فإن الأمر أصبح بالغ الصعوبة.

التخلف والتراجع الحضاري:

وأما أشار إليه الدكتور مجدي حسين حول طول فترة التخلف في العالم الإسلامي فالواقع أنها لا تبلغ ثمانية قرون كما أشار سيادته، فالمعروف أن الحضارة الإسلامية استمرت حوالي ثمانية قرون، وبدأ التراجع الحضاري بعد أن طُرد المسلمون من الأندلس سنة ١٤٩٢، وهو نفس العام الذي اكتُشفت فيه القارة الأمريكية. وقد اهتم العثمانيون فترة حكمهم بالنواحي العسكرية والفتوحات أكثر من اهتمامهم بالنواحي الحضارية، لذلك، لا أريد أن نظلم المسلمين ونقول إنهم منذ ثمانية قرون وهم في تراجع حضاري. وقد شهدت فترة التراجع الحضاري مصلحين ومجددين أمثال الشيخ محمد عبده الذي احتفلنا في الحادي عشر من يوليو الحالي بذكرى مرور مائة عام على وفاته، وجهوده وجهود أستاذه جمال الدين الأفغاني معروفة لا يجوز أن نقلل من شأنها، وقد كان لمحمد علي باشا قبل ذلك جهود لتحديث مصر. ولا تزال المحاولات مستمرة في العالم الإسلامي، وإن شاء الله نرجو أن يكون هذا أمرا عارضا يعود بعده المسلمون إلى ما كانوا عليه من تحضر ورقي.

أما ما قيل من أن الإسلام يركز على الدعوة إلى العلم الديني، فإن النصوص الإسلامية تبين لنا أن الإسلام يدعو إلى العلم بكافة صوره وأشكاله، والآية القرآنية التي أشرت إليها لا تتحدث عن العلم الديني فقط، وإنما العلم بأوسع معانيه.

مناهج التعليم الديني:

أما ما يتعلق بمناهج التعليم الديني وضرورة أن تتغير هذه المناهج، فإن الزميل الأستاذ الدكتور أحمد جمال الدين وزير التربية والتعليم قد طلب مني بالفعل ترشيح بعض الخبراء في هذا المجال، وهو بصدد تشكيل لجان لإعادة النظر في مناهج التربية الدينية، وهو في ذلك يعتمد على الخبراء في مجال العلوم الإسلامية، والأمل كبير في تحقيق الأهداف المرجوة في هذا الصدد.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

أما حديث الدكتور عبد المحسن كُميل حول المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فأود أن أقول إن لدينا ثلاث عشرة لجنة علمية في المجلس مُشكَّلة من خيرة العلماء في مصر في كل التخصصات، وليس فقط في تخصصات العلوم الدينية.

مجمع البحوث وكتاب بوش:

وأما مجمع البحوث الإسلامية وإقراره لكتاب بوش عن النبي محمد فأود أن أشير في البداية إلى أن مؤلف هذا الكتاب ليس مؤكدا أنه جد الرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش، فقد يكون هذا مجرد تشابه أسماء؛ فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٨٣١، أي منذ ما يقرب من قرنين من الزمان، فالموضوع إذن ليس جديدا، وقد صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٨٤٠، وصدرت الطبعة الأخيرة عام ٢٠٠٢، وهذه الطبعة الأخيرة هي التي جاءت إلى مجمع البحوث الإسلامية، ولا يذهب مجمع البحوث الإسلامية لجمع الكتب من المكتبات، وإنما تُعرض عليه الكُتب من قِبَل جهة معينة أو حتى من قِبَل أحد المواطنين لإبداء الرأي فيها، فيقوم المجمع بإرسال الكتاب إلى متخصص لفحصه وإعداد تقرير عنه، وهذا التقرير يُعرض على مجلس المجمع ليناقشه، فإذا لم يكن هناك اتفاق حوله فإنه يُعرض على خبير آخر لكتابة تقرير آخر قد يتفق مع التقرير الأول وقد يختلف معه. والتقرير الذي كُتب عن الطبعة الأخيرة الصادرة في عام ٢٠٠٢ أظهر أن الكتاب به إيجابيات كثيرة، ولكن به بعض السلبيات أيضا، وهذه السلبيات ينبغي الرد عليها، ومنها ما يتعلق بمعجزة الإسراء والمعراج وبزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لا يُعتبر من أساسيات الدين، فكان رأي مجلس المجمع الذي يضم حوالي أربعين من العلماء أنه لا داعي لأن ندعو إلى منع تداول هذا الكتاب، وليس من اختصاص المجمع أن يصادر الكتب وإنما تأتي المصادرة من جهة أخرى، لكن المجمع يقول رأيه إذا ما كان الكتاب صالحا للتداول أو غير صالح للتداول، وفيما يخص هذا الكتاب رأى المجمع أنه لا مانع من تداوله على أن تُشكل لجنة للرد على السلبيات الموجودة به باللغة الإنجليزية. وخلاصة القول أن

الكتاب مطبوع وموجود ومتداول، ولا يُعقَل أن نصادره بعد صدوره وتداوله بقرنين من الزمان. والواقع أننا نحن المسلمين نخطئ خطأ كبيرا عندما نفعل ذلك، فقد صنعنا – على سبيل المثال - من سلمان رشدي بطلا وجعلناه كاتبا من الدرجة الأولى مع أنه كان كاتبا مغمورا من الدرجة الثانية، ولم يكن أحد يقرأ كتبه، لكن بعد صدور رواية "آيات شيطانية" خلقنا منه بطلا، فقد قامت المظاهرات في العالم الإسلامي وصدرت الفتوى بإهدار دمه، فوقف الغرب بكامله معه واستقبله رؤساء الدول الغربية أعظم استقبال، وكانت بريطانيا تنفق أسبوعيا – وربما مازالت تفعل – عشرين ألف جنيه استرليني لحمايته، فمن الذي صنع منه بطلا؟ إنه العالم الإسلامي. ونفس الأمر تكرر مع رواية "وليمة لأعشاب البحر"، فلم يكن أحد يسمع عن مؤلفها حيدر حيدر من قبل، وقد كانت الرواية موجودة في القاهرة ولم يُبَع منها إلا حوالي مائة نسخة، أما بعد أن صودرت فقد قامت الدنيا ولم تقعد، وتم طبع ثلاث طبعات منها في عام واحد، وكانت الإعلانات على واجهات المكتبات في دمشق تقول: "الكتاب الذي هز شوارع القاهرة"! إن الممنوع دائما مرغوب. ولا يجوز أن نكرر الخطأ الذي وقعنا فيه من قبل. فالمصادرة ليست هي الأسلوب الأمثل، والرد العلمي هو السلاح الأقوى.

أما السؤال عن الرد العلمي على الشبهات ضد الإسلام، فهذا ما نقوم به في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وقد أصدرنا في ذلك كتابين أحدهما صغير والآخر كبير، وقد تُرجم الكتاب الصغير إلى ثماني لغات حتى الآن، وتمت ترجمة الكتاب الكبير إلى الإنجليزية وهو الآن في المطبعة.

الحوار مع الغرب:

وردا على باقي استفسارات الأستاذ مارك عياد، أكرر أنه لا تتم مصادرة الكتب من الأزهر ولا من مجمع البحوث الإسلامية، وقد ضربت مثلا بكتاب بوش، فالأزهر ومجمع البحوث الإسلامية رأيهما استشاري، ولا يفعلان سوى كتابة تقرير لتقييم المؤلَّف. وبخصوص مسألة أنني أتحامل على الغرب، أقول إن هذا غير صحيح، فأنا عشت في ألمانيا ست سنوات في الستينيات وما كنت أشعر أبدا أنني غريب، وكنت أعامَل أفضل معاملة، وفي سنة ١٩٦٤ قطعت مصر العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا لأنها اعترفت بإسرائيل وقد كنت أترجم بالاشتراك مع الصديق الدكتور محمود حجازي كتابات محمد حسنين هيكل عن العلاقات المصرية الألمانية بما فيها من هجوم على ألمانيا، ومع ذلك لم يقترب منا أحد ولم يسألنا أحد عما نفعل. وقد ألفت في العام الماضي كتابا عن "الإسلام والغرب"، وقمت بإضافة ملاحق إليه ومن بينها المحاضرة التي ألقاها الأمير تشارلز في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية سنة ١٩٩٣، والمحاضرة التي ألقاها روبن كوك في المركز الإسماعيلي في لندن سنة ١٩٩٩ عن ضرورة الحوار مع الإسلام والمسلمين. وأنا شخصيا من أنصار الحوار بين الإسلام والغرب، وقد اشتركت في أكثر من عشرين مؤتمرا عن هذا الموضوع.

وردا على الطالب عبد الرحمن رمضان، أقول إن الله يقول "**ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين**"، وستظل مصر إن شاء الله بلدا آمنا ولن تهتز على الإطلاق بسبب بعض الحوادث الإرهابية كما حدث اليوم في شرم الشيخ.

دور العقل:

وحول ما أشار إليه الأستاذ عبد الله أسامة، أقول إن هناك أمرا أساسيا أكد عليه الإسلام وهو ضرورة تمكين العقل من أداء دوره كاملا في الحياة، فإن تغييب العقل يجعل من الفرد إنسانا حائرا لا يعرف الصواب من الخطأ، لكن قياس الأمور بميزان العقل يجعلنا نميز بين الخير والشر والحق والباطل. فعندما يقول أحدهم سأفجر نفسي أو سأخرب كذا، فهل يقبل العقل هذا الكلام أم لا؟ إن بن لادن لو طُلب منه أن يفجر نفسه فلن يفعل ذلك أبدا لكنه – وأمثاله – يجند غيره مستغلا الفراغ الفكري لدى بعض الشباب. ومن المعروف أن الكوب الفارغ يكون قابلا لأن نملأه بماء عذب أو بالسُّم، وهناك بعض الشباب الذين يتم التغرير بهم والذين تُملأ عقولهم بأفكار معينة قاتلة. وقد رأينا الشاب الذي فجَّر نفسه في حادثة الأزهر، إنه شاب في مقتبل عمره يبلغ من العمر ١٨ سنة وطالب في كلية الهندسة إحدى كليات القمة، فكيف يفجر نفسه؟ والإجابة هي أنه يكون قد تعرَّض لعملية غسيل مخ، ويُقال له إنك إذا فجرت نفسك في جمع من الناس فقد ضمنت الجنة، فاستسهل الشاب المسألة، مع أن هذه جريمة مزدوجة وليست استشهادا على الإطلاق.

مراكز الثقافة الإسلامية:

وعن مركز الثقافة الإسلامية بالإسكندرية وبعض من يقومون بالتدريس فيه أطلب من الشيخ فؤاد مدير أوقاف الإسكندرية – والحاضر معنا الآن – أن يبحث هذا الموضوع، ويدقق في اختيار من يُدرِّس في هذه المراكز، فمراكز الثقافة الإسلامية هذه خدمة نقدمها للمواطنين حيث نتيح لخريجي الجامعات المصرية – أيا كانت الكليات التي تخرجوا فيها – فرصة للدراسة المنظَّمة للإسلام لمدة عامين، وإذا كان هناك – وفقا لما ذكرته الأخت بثينة شريف – هذا التضارب في الفكر بين الأساتذة، أو محاولة البعض نشر بعض الأفكار الضارة، فإننا لن نستعين بهم مستقبلا في التدريس وسيتم التدقيق في اختيار الأساتذة من أصحاب الفكر السليم.

أما الأخت سلمى محمد أحمد حسين والتي ذكرت أنه لا يوجد دعاة يرشدون الشباب المقبِل على الدين، ولذلك يلجئون إلى الإنترنت، وبما أنها طالبة في كلية التجارة قسم اللغة الإنجليزية، أقول إنني سوف أرسل من القاهرة للشيخ فؤاد مدير أوقاف الإسكندرية خمسين نسخة من كتاب "حقائق إسلامية" باللغة الإنجليزية ولتتولى هي توزيعها على زملائها، وهذا الكتاب به رد على حوالي ٣٧ شبهة عن القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وزوجات النبي والإرهاب وقضايا المرأة، وبقراءة هذا الكتاب، سيجد الشباب الرد على الكثير من الأسئلة. وسوف أرسل مع هذه النسخ خمسين نسخة من CD عليها الموسوعة الإسلامية المتكاملة مسجل عليها كم هائل من المراجع للاستفادة منها إن شاء الله.

مدارس تحفيظ القرآن:

وعن مدارس القرآن التي تقوم بتحفيظ القرآن دون رقابة، أقول: إن لدي في وزارة الأوقاف حوالي ثلاثة آلاف مكتب لتحفيظ القرآن على مستوى الجمهورية، وإذا كانت هناك بعض المدارس الأخرى التي لا تخضع لأي إشراف، فإننا، نود أن نعرف أين هي حتى نضعها تحت إشراف وزارة الأوقاف لأن هذا من الأمور التي تختص بها الوزارة.

قناة فضائية إسلامية:

أما مسألة إنشاء قناة فضائية بأموال الأوقاف فأود أن أقول: إن القضية مطروحة منذ مدة ومن الممكن أن نتغلب على مسألة التمويل، لكن المشكلة أنها تحتاج إلى كوادر مدربة لإعداد برامج قوية باللغة الإنجليزية، وأنا لا أريدها أن تكون جيدة لمدة أسبوع أو أكثر، ثم بعد ذلك ينتهي الأمر وينصرف عنها المشاهدون. فالقنوات الأخرى تستطيع أن تملأ وقتها بوسائل ترفيهية مختلفة، لكن مثل هذه القناة يجب أن تبدأ قوية وتستمر قوية وإلا فلا داعي لها أصلا. وأتمنى أن يخرج هذا الاقتراح إلى الوجود في وقت قريب إن شاء الله.

صلاح فضل:

في النهاية، نشكر معالي الوزير كثيرا على كل هذه الفيوض من ثراء الفكر وصفاء الوجدان وعمق التفكير.